مـركـز الدراسـات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلَّة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد السادس والعشرون
شهر جمادى الأولى-١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

مدير التحرير

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود

أحمد كاظم الحسناوي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

السيد حيدر خير الدين

المحتويات

أوراق قرآنية

١- مصاحف التابعين والصحابة/ زعيم الطائفة السيّد أبو القاسم الخوئيّ
٢- جمع القرآن في مصحف واحد/ العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغيّ
٣- أعلام التفسير في القرن الخامس/ الشيخ جعفر السبحاني
٤- المذهب التاريخي في القرآن/ الشيخ محمد مهدي الآصفي
٥- تفسير سورة الفاتحة / السيّد محمّد باقر السيستانيّ

أوراق فكرية

١- حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم/ خطبة/
٢- الإمامة بيد الله/ السيّد علي الميلانيّ
٣- القبر والموقف والحساب/ شيخ الطائفة الطوسيّ
٤- الرسالة النيتشرية ج٢/ العلاّمة آقا بزرك الطهرانيّ
٥- أنبياء الله وعلماء الطبيعة/ العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية

أوراق علمية

١- سبب كثرة روايات الفروع عن الصادقين عليهما السلام/ تقرير بحث السيّد السيستانيّ بقلم السيّد محمّد علي الربانيّ
٢- نسبة المسائل الصاغانية للشيخ المفيد/ السيّد محمّد رضا السيستانيّ
٣- مدرسة الكوفة من أهم مدارس الفقه/ السيد علي الطباطبائي
٤- أدلة إمامية غياث بن إبراهيم/ السيّد شبيري الزنجانيّ
٥- الحاجة إلى علم الرجال/ الشيخ باقر الإيرواني

أوراق تاريخية

١- فارقتك شيخاً وجئتك أمرد/ السيّد محمّد تقي الحكيم/

٢- من مؤلفي الشيعة زرارة وأخوته/ السيّد عبد الحسين شرف الدين

٣- سبب انفصال الشيعة عن الأكثرية السنة/ العلّامة الطباطبائيّ

٤- براءة الشيعة من الغلو والغلاة / الشيخ باقر شريف القرشيّ

٥- متى بدأ التشيع/ الشيخ أحمد الوائلي

أوراق اجتماعية

١- أسباب لجوء البعض إلى أسلوب النقد الساخر/ السيّد محمّد باقر السيستانيّ

٢- امتياز الإنسان عن سائر الأحياء/ الشيخ محمّد تقي فلسفي

٣- سرّ الشخصية/ السيّد منير الخبّاز

٤- تحرير المرأة في الإسلام/ السيّد مهدي الصدر

أوراق ثقافية

١- تكفّل الله تعالى برزق طالب العلم/ الشيخ يوسف البحراني

٢- أخلاق الإنسان مع النفس/ السيّد محمّد هادي الخرسان

٣- طلوع الفجر/ د. لبيب بيضون

٤- الشعر/ الشيخ قاسم الملا

٥- بعض الحقوق

الورقة الأولى

كلمات الله لا تنفد

الحمدُ لله الذي أورق الشجر، ومدّ البحر، وعلّم البشر بالقلم وما يسطرون، والصلاة والسلام على مَن بنعمة ربّه ليس بمجنون، وإنّ له لأجراً غير ممنون، وإنّه لعلى خلقٍ عظيم، سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين الغر الميامين عليهم السلام أجمعين..

وبعد، فإنَّ كلمات الله تعالى غير نافدة، بل هي في زيادة وهذا ما يجعل العقول البشرية العادية تقف عاجزة مذهولة وَلَوْ جاءوا بِمِثْلِ البحر مِداداً مَدَدًا، والأشجار أقلاماً، ﴿ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله ﴾وجزء من هذه الكلمات وصلت إلينا عن طريق الأنبياء والمرسلين والأئمة الميامين كما تقول الآية المباركة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾فقد أوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله ما يوحى وقد قال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمَن أراد العلم فليقتبسه من علي عليه السلام».

وقد ورث الإمامان الحسنان عليهما السلام علم أبيهم أمير المؤمنين علي بن أبي الطالب عليه السلام، وهكذا هو الأمر حتى آخر الأئمة قائمهم المهدي المنتظر عليهم السلام

أجمعين، فقد فصّلوا في الشريعة وأصّلوا لها تأصيلاً محكماً على أيدي طلبتهم وحملة علومهم والرواة الثقاة الخلف عن السلف فأصبحت بحمد الله لدينا الموسوعات الضخمة المبوبة منها والمصنّفة بحسب الموضوعات منها الكتب الأربعة ومنها البحار والوسائل.

وهكذا فإنَّ حركة العلم مستمرة حيث تلت مرحلة الرواية الدراية بالشرح والتمييز والتفصيل فأصبحت لدينا الجواهر والعروة الوثقى والرسائل وغيرها ممّا يطول المقام بذكرها وبشتّى العلوم. فهذا ممّا يجعل الأيام قليلة في قبال هذه الكنوز العظيمة التي تحتاج إلى وصل الليل بالنهار مع دمج الصيف بالشتاء حتى تُدرك العلم وتحيط به لما أدركتَ المنى! ولو كان بعض أعمارهم لكَ ظهيراً.

وما هذه المجلّة في عددها (السادس والعشرون) والأعداد الماضية إلَّا قطرة ندى من بحر علوم أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم، وهي من كلمات الله التي لا تنفد، فهم كما يصف حالهم الإمام الصادق عليه السلام: حُجَجُ اللهِ وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلى خَلْقِهِ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلَادُ، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلَادُ، جَعَلَهُمُ اللهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ، وَمَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ، وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلَامِ، وَدَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ، جَرَتْ بِذلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللهِ عَلى مَحْتُومِهَا.

فنسأل الله تعالى العلم والعمل الصالحين، وأن نوفق لبذل الجهد في نشر هذه الأوراق المعرفية إنّه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.

أوراد قرآنية

مصاحف التابعين والصحابة

زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي

مما لا ريب فيه أنَّ مصاحف التابعين والصحابة – قبل جمع عثمان وبعده – كانت مشتملة على البسملة، ولو لم تكن من القرآن لما أثبتوها في مصاحفهم، فإنّ الصحابة منعت أن يدرج في المصحف ما ليس من القرآن، حتى إنَّ بعض المتقدّمين منعوا عن تنقيط المصحف وتشكيله. فإثبات البسملة في مصاحفهم شهادة منهم بأنّها من القرآن كسائر الآيات المتكرّرة فيه.

وما ذكرناه يبطل احتمال أنَّ إثباتهم إياها كان للفصل بين السور. ويبطل هذه الدعوى أيضاً إثبات البسملة في سورة الفاتحة، وعدم إثباتها في أول سورة براءة. ولو كانت للفصل بين السور، لأثبتت في الثانية، ولم تثبت في الأولى.

وذلك يدلنا قطعاً على أنَّ البسملة آية منزلة في الفاتحة دون سورة براءة.

أدلة نفاة جزئية البسملة:

واستدل القائلون بأنّ البسملة ليست جزء من السورة بوجوه:

الوجه الأول: أنّ طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر، فكلُّ ما وقع النزاع في ثبوته فهو ليس من القرآن، والبسملة ممّا وقع النزاع فيه.

والجواب أولاً: أن كون البسملة من القرآن ممّا تواتر عن أهل البيت عليهم السلام ولا فرق في التواتر بين أن يكون عن النبي صلى الله عليه وآله وبين أن يكون عن أهل بيته الطاهرين بعد أن ثبت وجوب اتباعهم.

وثانياً: أنّ ذهاب شرذمة إلى عدم كون البسملة من القرآن لشبهة لا يضر بالتواتر، مع شهادة جمع كثير من الصحابة بكونها من القرآن، ودلالة الروايات المتواترة عليه معنى.

وثالثاً: أنّه قد تواتر أنَّ النبي صلى الله عليه وآله يقرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن

وهو في مقام البيان، ولم يبين أنّها ليست منه، وهذا يدل دلالة قطعية على أنَّ البسملة من القرآن. نعم لا يثبت بهذا أنّها جزء من السورة. ويكفي لإثباته ما تقدّم من الروايات، فضلاً عما سواها من الأخبار الكثيرة المروية من الطريقين.

والجزئية تثبت بخبر الواحد الصحيح، ولا دليل على لزوم التواتر فيها أيضاً.

الوجه الثاني: ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال:« سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل: فإذا قال العبد: الحمد لله ربِّ العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله تعالى: مجدني عبدي، وإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[1].

وتقريب الاستدلال في هذه الرواية أنّها تدل – بظاهرها – على أنّ ما بعد آية إياك نعبد وإياك نستعين يساوي ما قبلها في العدد، ولو كانت البسملة جزءًا من

(١) صحيح مسلم: باب قراءة الفاتحة في كلِّ ركعة: ج ٢، ص ٦؛ وسنن أبي داود: باب من ترك القراءة في صلاته: ج ١، ص ١٣٠؛ وسنن النسائي: باب ترك قراءة البسملة في فاتحة الكتاب: ج ١، ص ١٤٤.

الفاتحة لم يستقم معنى الرواية، وذلك: لأنّ سورة الفاتحة - كما عرفت - سبع آيات، فإن كانت البسملة جزءًا كان ما بعد آية: إياك نعبد وإياك نستعين آيتين، ومعنى ذلك أنّ ما قبل هذه الآية ضعف ما بعدها، فالفاتحة لا تنقسم إلى نصفين في العدد.

والجواب عنه أولاً: أنَّ الرواية مروية عن العلاء، وقد اختلف فيه بالتوثيق والتضعيف.

وثانياً: أنّه لو تمّت دلالتها، فهي معارضة بالروايات الصحيحة المتقدّمة الدالة على أنَّ الفاتحة سبع آيات، مع البسملة لا بدونها.

وثالثاً: أنّه لا دلالة في الرواية على أنّ التقسيم بحسب الألفاظ، بل الظاهر أنّه بحسب المعنى، فالمراد أنَّ أجزاء الصلاة بين ما يرجع إلى الربِّ وما يرجع إلى العبد بحسب المدلول.

ورابعاً: أنّه لو سلّمنا أنّ التقسيم إنّما هو بحسب الألفاظ فأيُّ دليل على أنّه بحسب عدد الآيات، فلعلّه باعتبار الكلمات، فإنّ الكلمات المتقدِّمة على آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ والمتأخرة عنها، مع احتساب البسملة وحذف المكرّرات عشر كلمات.

الوجه الثالث: ما رواه أبو هريرة: «من أنَّ سورة الكوثر ثلاث آيات[1]، وأنّ سورة الملك ثلاثون آية »[2]، فلو كانت البسملة جزء منها، لزاد عددهما على ذلك.

والجواب: أنّ رواية أبي هريرة في سورة الكوثر على فرض صحة سندها معارضة برواية أنس، وقد تقدمت وهي رواية مقبولة روتها جميع الصحاح غير موطأ مالك فرواية أبي هريرة مطروحة أو مؤولة بإرادة الآيات المختصة، فإنّ البسملة مشتركة بين جميع السور، وهذا هو جواب روايته في سورة الملك.

[البيان في تفسير القرآن]

(١) لم أعثر على هذه الرواية في كتب الروايات.
(٢) مستدرك الحاكم: ج١، ص٥٦٥، وصحيح الترمذي: باب ما جاء في فضل سورة الملك: ج١١ ص٣٠، وكنز العمال: فضائل السور والآيات: ج ١، ص ٥١٦، ٥٢٥.
في الصفحة ٤٤١ من هذا الكتاب.
تيسير الوصول: ج ١، ص ١٩٩.

جمع القرآن في مصحف واحد

العلّامة الشيخ
محمد جواد البلاغي

لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات المتجددة آنا فآنا يتدرج في نزوله نجومًا[1] الآية والآيتان والأكثر والسورة. وكلما نزل شيء هفت إليه قلوب المسلمين وانشرحت له صدورهم، وهبّوا إلى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الإقبال وأشدّ الارتياح. فتلقّوه بالابتهاج وتلقّوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله وقرآنه. وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية وأثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر. وكان شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذٍ هو التجمُّل والتكمُّل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم. لكي يتبصّر بحججه ويتنوّر بمعارفه وشرائعه

(١) ولابدّ من أن تكون كتب الوحي والدعوة والتشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة. ومما يشير إلى ذلك أنَّ التوراة الرائجة تذكر أن نزول التوراة على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشجرة متدرجاً بحسب الأزمان والحوادث والتاريخ والحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن ومتراخيا في أكثر من أربعين سنة. فانظر في شرح هذا المجمل إلى المقدّمة الثانية من الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٩ إلى ١٢.

وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربي الفائق المعجز. فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجة الدعوة. ومعجز البلاغة. ولسان العبادة لله. ولهجة ذكره. وترجمان مناجاته. وأنيس الخلوة. وترويح النفس. ودرساً للكمال. وتمريناً في التهذيب. وسلّماً للترقي. وتدرباً في التمدُّن. وآية الموعظة. وشعار الإسلام. ووسام الإيمان والتقدّم في الفضيلة. واستمرّ المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرّسول يعدّون بالألوف وعشراتها ومئاتها. وكلّهم من حملة القرآن وحفّاظه [1] وإن تفاوتوا في ذلك بحسب السابقة والفضيلة.. هذا ولما كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله ﷺ لم يكن كلُّه مجموعًا في مصحف واحد وإن كان ما أوحي منه مجموعًا في قلوب المسلمين وكتاباتهم له.. ولما اختار الله لرسوله دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمة، رأى المسلمون أن يسجلوه في مصحف جامع فجمعوا مادته على حين إشراف الألوف من حفّاظه ورقابة مكتوباته الموجودة عند الرسول وكتاب الوحي وسائر المسلمين جملة وأبعاضاً وسوراً [2] نعم لم يترتب على ترتيب نزوله ولم

(١) اخرج ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال: جمع القرآن أي: حفظاً في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصمت وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري وأبو الدرداء.

وأخرج ابن سعد ويعقوب بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعد بن عبيد وأبو زيد وكان مجمع ابن جارية قد أخذه كلّه إلّا سورتين أو ثلاثة. وأخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله حيٌّ، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود. وأخرج عن أنس قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ معاذ وأبي وسعد وأبو زيد. وأخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع. وفي رواية حول رسول الله نؤلّف القرآن (فانظر إلى كنز العمال ومنتخبه أقلاً) ولم اذكر هذه الروايات احتجاجاً بها للحقيقة المعلومة، ولكن لتجبه بالمعارضة بعض الروايات الشاذة الواردة في خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين في عصر النبي وبعده للقرآن الكريم.

(٢) ومما يشهد لما ذكرناه ما عن أبي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه مسنداً عن عمر بن عامر الأنصاري أنَّ عمر بن الخطاب قرأ: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ» فرفع الأنصار ولم يدخل واو العطف على «الَّذِين» فقال له زيد بن ثابت: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ»، فقال عمر: «الَّذِينَ

يقدّم منسوخه على ناسخه [1] فاستمرّ القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل ترى له في كلّ آن ألوفاً مؤلّفة من المصاحف، وألوفاً من الحفّاظ، ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض، ويسمع بعضهم من بعض. تكون ألوف المصاحف رقيبة على الحفّاظ، وألوف الحفّاظ رقباء على المصاحف، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدّد منهما، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف وألوف الألوف. فلم يتّفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلّت آلاؤه بقوله في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [2]، وقوله في سورة القيامة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [3]، ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئاً في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزنًا.

وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن. وما ألصقته بكرامة القرآن ممّا ليس له شبه به.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ»، فقال زيد: أمير المؤمنين اعلم، فقال عمر: ايتوني بأُبي بن كعب فسأله عن ذلك فقال: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ»، فجعل كلّ واحد منهما يشير إلى أنف صاحبه بإصبعه، فقال أُبي والله أقرأنيها رسول الله ﷺ وأنت تتبع الخبط. فقال عمر: فنعم إذن فنعم إذن. وأخرج أبو عبيد في فضائله وسنيد وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرضي. وأخرج أبو الشيخ في تفسيره والحاكم في المستدرك مصححًا على شرط البخاري ومسلم عن اسامة ومحمد بن ابراهيم التيمي أنَّه جرى بين عمر وأبي بن كعب في هذه الآية نحو ذلك فانظر في كنز الأعمال ومنتخبه.

(١) نعم من المعلوم عند الشيعة أنَّ عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء إلَّا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدّم منسوخه على ناسخه. وأخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبئت أنَّ عليًّا ابطأ عن بيعة أبي بكر فقال: أ كرهت إمارتي فقال: آليت بيميني أن لا ارتدي برداء إلَّا للصلاة حتى اجمع القرآن. قال: فزعموا أنَّه كتبه على تنزيله. قال محمد فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم. قال ابن عوف: فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه.

(٢) سورة الحجر: آية ٩.

(٣) سورة القيامة: آية ١٧.

أعلام التفسير في القرن الخامس

الشيخ جعفر السبحاني

لقد حلّ القرن الخامس، في حين استفحل أمر الفرق الإسلامية، وتشتّت المذاهب الكلامية فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد خصوصاً في أسمائه وصفاته، وهم:

بين مشبّه لله سبحانه بمخلوقه «يثبت له يداً ورجلاً ووجهاً وحركةً» وانتقالاً كالإنسان، ويكفر من ينكر ذلك، ويباهي بعقيدته، ويرفع عقيرته: بأنّا نثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه في الكتاب والسنّة، وكأنّهم لم يسمعوا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أو قوله عزّ مَن قائل: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وبين معطِّل في فهم الأسماء والصفات فيفوض معانيها إلى الله سبحانه، ويرتدع عن تفسيرها على ضوء الكتاب والسنّة والعقل، وكأنّ القرآن لم ينزل إلّا للقراءة والكتابة، لا للفهم والدراية، وكأنّ الوحي لم ينقر أسماعهم: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وبين مؤوِّل للآيات حسب عقيدته وفكرته يُخضعون كلام الله لآرائهم، وكأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يحذّرهم عن تفسير القرآن بالرأي ولم يقل: «مَن فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

ففي هذه الظروف القاسية قام علماء الشيعة بتفسير القرآن تفسيراً علمياً غير مائلين لا إلى اليمين ولا إلى الشمال، غير عاضدين لهذه الفرق، مقتفين أثر الكتاب العزيز، مستلهمين من أثر الرسول، ومتدبّرين في الآيات، فألّفوا في هذا المجال موسوعات تفسيريّة لم تزل تشعُّ منذ تكوّنها إلى يومنا هذا، وإليك أسماءهم:

١. أبو الحسن الشريف الرضي:

نقيب العلويّين، محمّد بن الحسين بن موسى المعروف بالسيد الرضي، ولد عام (٣٥٩ هـ)، وتوفّي عام (٤٠٦هـ)، وهو صاحب الأثر الخالد: نهج البلاغة، الذي قام فيه بجمع خطب الإمام ورسائله وكلمه من هنا وهناك، وله (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) وهو تفسيره الكبير التي يعبّر عنه تارة بـ(حقائق التأويل)، وأُخرى بالكتاب الكبير في متشابه القرآن، وعبّر عنه النجاشي بحقائق التنزيل، وصاحب عمدة الطالب بكتاب المتشابه في القرآن.

ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء، وقال: يتعذّر وجود مثله. وقال النسابة العمري في المجدي: شاهدت له جزءاً مجلّداً من تفسير منسوب إليه في القرآن، مليح حسن، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر.

وقال ابن خلّكان: «يتعذّر وجود مثله، دلّ على توسّعه في علم النحو، واللغة، وصنّف كتاباً في مجازات القرآن فجاء نادراً في بابه»، وقد طبع منه الجزء الخامس، أوّله تفسير قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ... ﴾[1].

ونقل الخطيب في تاريخ بغداد عن شيخه أحمد بن محمد (المتوفّى ٤٤٥ هـ) أنَّ الرضي صنّف حول معاني القرآن ما يتعذّر وجود مثله، فيذكر الآيات المشكلة أو المتشابهة، فيزيل إشكالها وغموضها، وكتابه هذا غير مجازات القرآن المنتشرة.[2]

٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦ـ٤١٣ هـ).

يقول النجاشي: شيخنا وأُستاذنا رضي الله عنه. فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم.

يقول الشيخ الطوسي ـ تلميذه الآخر: «يكنّى أبا عبد الله المعروف بابن المعلم، من جملة متكلّمي الإماميّة انتهت إليه رئاسة الإماميّة في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، توفّي لليلتين خلتا من شهر رمضان، سنة (٤١٣ هـ)، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً لم ير أعظم منه، من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف والموافق».

وقال ابن كثير: «توفّي في سنة (٤١٣ هـ)، عالم الشيعة، وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة المعروف بالمفيد، وبابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة بالجلالة والعظمة في الدولة البهية البويهيّة، وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم،

(١) سورة آل عمران: آية ٧.
(٢) رجال النجاشي: ٢ / ٣٢٦؛ الذريعة: ٧ / ٣٢ برقم ٢٦٠؛ وفيات الأعيان: ٤ / ٤١٦، تحقيق الدكتور احسان عباس؛ الغدير: ٤ / ١٩٨.

خشن اللباس، وكان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكـان شيخاً ربعاً نحيفاً أسمر، عـاش (٧٦ سنة)، وله أكثر من مائتي مصنّف، وكان يوم وفاته مشهوداً وشيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والمعتزلة»، وقد سرد تلميذه النجاشي أسماء كتبه وفيها ما يمسُّ بالموضوع:

١. كلام في دلائل القرآن، ٢. البيان في تأليف القرآن، ٣. النصرة في فضل القرآن، ٤. الكلام في حدوث القرآن، ٥. البيان عن غلط قطرب في القرآن، ٦. الردّ على الجبائي في التفسير، ولأجل هذه الكتب الكثيرة حول القرآن فهو من أكـبر المهتمين بالقرآن، وكيف لا يكون ذلك وقد تربّى في مدرسته العلمان الكبيران المفسران: المرتضى والطوسي بل والشريف الرضي.[1]

٣. السيد المرتضى علم الهدى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى.

يصفه النجاشي بقوله: حـاز من العلوم ما لم يحزه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، كان متكلّماً شاعراً أديبـاً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، وهو من المكثرين في التأليف حول القرآن، أهمُّها «الـدرر والغرر»، المطبوع عدّة مرّات.

ووصفه الشيخ في فهرسته بقوله: المرتضى متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأُصول الفقه، والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر، واللغة، وغير ذلك، له من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير مشتمل على ذلك فهرسه المعروف.

وقال في رجاله: إنّه أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلّم، فقيه، جامع العلوم كلُّها، مدّ الله في عمره. إلى غير ذلك من كلمات الثناء من مشايخ العامة والخاصّة التي يضيق بنا المجال لنقل معشارها، وقد ترجمه كثير من أصحاب المعاجم.

راجع لفهرسها كتاب الغدير. يقول الذهبي: «كتاب غـرر الفوائد ودرر القلائد» كتاب يشتمل على محاضرات أو أمالي أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلساً، تشتمل على بحوث في التفسير والحديث، والأدب، وهو كتاب ممتع،

(١) رجال النجاشي: ٢ / ٣٢٧ برقم ١٠٦٨؛ فهرست الـطـوسي: بـرقـم ٧١٠؛ البداية والنهاية: ١٢ / ١٥؛ ولاحظ: تاريخ بغداد: ٣ / ٢٣١ برقم ١٢٩٩.

يدل على فضل كثير، وتوسّع في الاطِّلاع على العلوم، وهو لا يحيط بتفسير القرآن كلِّه، بل ببعض من آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة.

إنّ من الجناية على العلم وأهله رمي السيد المرتضى بأنّه يسعى في كتابه هذا للتوفيق بين آرائه الاعتزالية وآيات القرآن التي تتصادم معها». وهذا ما يقوله الذهبي، وهو شنشنة أعرفها من كلّ من لم يفرق بين مبادئ التشيُّع والاعتزال، فزعم أنَّ اشتراكهما في بعض المبادئ كامتناع رؤية الله سبحانه، وحريّة الإنسان في حياته، وسعادته وشقائه، بمعنى اتحادهما في جميع الأُصول والمبادئ، ولم يقف على أنَّ المعتزلة في بعض آرائهم وعقائدهم عيال على خطب الإمام أمير المؤمنين وكلماته، هذا والكتاب قد طبع مرّات محقّقة.[1]

٤. محمد بن الحسن الطوسي، أبو جعفر، جليل من أصحابنا.

قال النجاشي: ثقة، عين من تلامذة شيخنا أبي عبد الله.

وقال العلّامة في الخلاصة: شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنتسب إليه، صنّف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذِّب للعقائد في الأُصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل، وكان تلميذ الشيخ المفيد، ولد ـ قدّس الله روحه ـ في شهر رمضان سنة (٣٨٥ هـ)، وقدم العراق في شهور سنة (٤٠٨ هـ)، وتوفّي رحمه الله ليلة الاثنين، الثاني والعشرين من المحرّم سنة (٤٦٠ هـ) بالمشهد المقدّس الغروي، ودفن بداره.

وقد ترجمه أصحاب المعاجم من العامّة والخاصّة، وكفانا عن مؤونة البحث، ما ألّفه حول حياته شيخ الباحثين شيخنا المجيز الطهراني الذي طبع في مقدمة كتاب التبيان، وأمّا كتاب «التبيان»، فيكفي فيه قول الطبرسي: «إنّه

(١) رجال النجاشي: ٢ / ١٠٢ برقم ٧٠٦؛ فهرست الطوسي: ٩٩؛ الخلاصة: ٤٦؛ التفسير والمفسّرون: ٤٠٤. ولاحظ: رسالة الإسلام، العدد الثاني، من السنة الثانية عشرة، مقالة الشيخ محمد جواد مغنية، تحت عنوان: «الإمامية بين الأشاعرة والمعتزلة» تجد فيها حقّ المقال.

الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحقِّ، ويلوح عليه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني، الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها، ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضيء بأنواره وأطأ مواقع آثاره».[1]

وأمّا منهجه في التفسير فيظهر من قوله في مقدمته. يقول «سمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة... والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبِّرة والمشبِّهة والمجسِّمة وغيرهم، وذكر ما يختصّ أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحّة مذاهبهم في أُصول الديانات وفروعها».

ثمّ إنّ كتاب التبيان تداولته العلماء، وأخذوا في تحقيقه، فمنهم من اختصره كابن إدريس الحلي (المتوفّى عام ٥٩٨ هـ)، وأبي عبد الله محمد بن هارون (المتوفّى عام ٥٩٧ هـ)، كما أرّخه الجزري في طبقات القرّاء، وسيوافيك أسماؤهما في القرن السادس فانتظر.

٥. أبو سعيد، إسماعيل بن علي بن الحسين السمّان، المعاصر للسيد المرتضى والشيخ الطوسي، حيث يروي عنه من يروي عنهما كإسماعيل وإسحاق ابني محمد بن الحسن بن الحسين بن علي بن موسى بن بابويه القمي. وذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته، وقال: ثقة وأيّ ثقة، حافظ، له (البستان في تفسير القرآن) في عشر مجلّدات.[2]

[مفاهيم القرآن]

(١) رجال النجاشي: ٢ / ٣٣٢ برقم ١٠٦٩، الخلاصة: ١٤٨؛ مجمع البيان: ١ / ١٠. وراجع لسان الميزان: ٥ / ١٣٥ برقم ٤٥٢.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٨ برقم ٨.

المذهب التاريخي في القرآن

الشيخ محمد مهدي الآصفي

ليس القرآن الكريم كتاباً في الفلسفة يعنى بدراسة المسائل الفلسفية والتاريخية بصورة مشروحة.. وإنّما هو كتاب دعوة وهداية وتشريع.. ولكنّنا نستطيع أن نستخرج من ثنايا آيات كتاب الله الأصول العامة للتفكير بشكل دقيق.

وعندما نستعرض الآيات القرآنية نجد خطوطاً واضحة تمكننا من رسم مجمل المذهب القرآني في حركة التاريخ.

إنّ المذهب الإسلامي في تفسير التاريخ يقيِّم التاريخ على ثلاثة أسس وليس أساسين فقط، ويؤمن بأنّ بناء التاريخ لا يمكن أن يقوم على أساسين فقط، ولا يمكن أن نفسر حركة التاريخ على أساس (قانون العليّة) (وإرادة الإنسان) فقط من دون أن نأخذ المشيئة الإلهية ورعاية الله تعالى عاملاً أساسياً في حركة التاريخ بنظر الاعتبار.

وهذه الأسس هي:

١ ـ قانون العليّة.

٢ ـ حرية إرادة الإنسان.

٣ ـ الرعاية الإلهية.

وفيما يلي نفصل هذا الإجمال:

١ـ قانون العليّة في التاريخ (السنن الإلهية):

الحياة الاجتماعية والحضارة البشرية والتاريخ ليست بدعاً من الأمور في هذا الكون كما قلنا سابقاً ولا يمكن أن نستثني شيئاً في هذا الكون من قانون العليّة، ونتائج هذا القانون دائماً نتائج حتمية لا يمكن أن تتخلّف عن أسبابها وظروفها وهذه النتائج تعمُّ كلّ الحالات المشابهة وتتكرّر كلما تكرّرت الأسباب والظروف المؤدِّية إلى وجودها.. ومعنى ذلك أنَّ كلّ أصول قانون العليّة من (الحتمية والتعميم والمسانخة) تجري في الحقل الحضاري والتاريخي كما تجري في حقول المادة.

والظاهرة الحضارية لا تختلف عن الظاهرة المادية في أنّها تخضع لنفس القوانين والأصول التي تخضع لها الظاهرة المادية، فإنّ قانون العليّة لا يقبل استثناء ولا يمكن أن تحدث ثغرة أو خلل في تطبيق هذا القانون في المجتمع أو في غير المجتمع من هذا الكون.

فالحياة الاجتماعية والتاريخ إذن يسيران بموجب نظام وقانون دقيق وبنفس الدقة التي تجري قانون العليّة في

الفيزياء.

والأحداث الاجتماعية الكبيرة والصغيرة والانقلابات والثورات والركود والحركة والفشل والنجاح والنصر والهزيمة والغنى والفقر والقوة والضعف والهلاك والسقوط وولادة الحضارات ونموها وغير ذلك من مظاهر الحركة الاجتماعية لا تحدث بصورة عفوية كما تتصوّر ذلك بعض المذاهب التاريخية.

وإنّما يجري ذلك كلُّه بموجب قوانين وسنن إلهية ثابتة، كما أنَّ الحاضر ليس مفصولاً عن الماضي وإنّما هو نتيجة حتمية للماضي ولا يمكن تفكيك أجزاء الحضارة البشرية الواقعة على امتداد الزمان بعضها عن بعض، فكلُّ جزء يرتبط بالجزء الذي قبله وبعده ارتباطاً قوياً، وكلُّ جزء حصيلة الأجزاء السابقة ومادة للأجزاء اللّاحقة.. وهكذا، فإنّ الحضارة البشرية على امتداد التاريخ ليست قطعاً وشرائح حضارية متقطعة ومتفككة، وليست الشرائح المعاصرة غريبة عن الشرائح السابقة كما ليست الشرائح الحضارية المقبلة مفصولة عن الشريحة الحاضرة والشرائح الماضية.

وهذه الشرائح والمقاطع الحضارية الممتدة على امتداد التاريخ مرتبطة ببعض بقانون العليّة، وكما لا يمكن أن يحدث شيء بصورة عفوية في حقول الفيزياء والكيمياء والميكانيك، وكذلك لا يمكن أن يحدث حدث اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي بصورة عفوية وإنّما يحدث ذلك جميعاً بموجب سنن وقوانين ثابتة تماماً كما يحدث في حقول المادة.

[المذهب التاريخي في القرآن]

تفسير سورة الفاتحة ج٣

السيد محمد باقر السيستاني

٢ - إيضاح مثَلي

الإيضاح الثاني: والمراد بالإيضاح المثَلي هو أنّ المضمون الوارد في القرآن الكريم رغم خصوصيته يصلح بالنظر المثَلي معنى عاماً يتجاوز خصوص مضمونه.[١]

وقد نزل القرآن الكريم بصريح آياته أصالةً على سبيل الأمثال.

والمعنى المثَلي في القرآن الكريم على مستويات مختلفة من الدلالة:

١ - مستوى الصراحة الذي يُنبَّه عليه في الآية: كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ

(١) وقد يطلق المعنى التأويلي أيضاً، إلَّا أنَّ المعنى التأويلي أعم من المعنى المثَلي، وسيأتي الحديث عن المعنى التأويلي في محلّه.

﴿الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[1].

٢ - مستوى العرض القصصي الذي يكون لأجل العبرة والعظة والتثبيت، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.[2]

٣- مستوى الإلهام، بمعنى أنَّ الآية تلهم الإنسان عند حسن تأمُّله وتفطُّنه معنىً عاماً.

وللبسملة التي جاءت كأدب مشترك بين السور القرآنية عدا سورة البراءة بُعدٌ مثَلي، وذلك لأنّها وإن جاءت في حالة خاصة وهي بداية السور القرآنية، لكنها تصلح ملهمة للبداية باسم الله تعالى في كلِّ فعل[3]، سواء كان الابتداء بصيغة البسملة أم بصيغة التسمية لله سبحانه.

ومعنى التسمية لله سبحانه أعم من معنى البسملة:

وذلك أنَّ البسملة تعني ذكر لفظة (بسم الله) أيْ: كلمة الاسم تحديداً، وهي مشتقة ومنحوتة من (بسم الله)، كما هو الحال في نظائره مثل حوقل من: (لا حول ولا قوة إلَّا بالله)، وهلّل من: (لا إله إلَّا الله) وأمثال ذلك.

وأمّا التسمية فهي ذكر الله تعالى مع القول أو الفعل، وإن لم يُذكر فيه كلمة الاسم، فلو أنّ الإنسان عند الذبح قال (الله أكبر) فقد سمى الله وإن لم يقل (بسم الله)، فالتسمية أعم من البسملة.

ولا تجري التسمية إذا كان المبدوء به ذكراً لله سبحانه ككثير من سور القرآن الكريم التي تبدأ بعد البسملة بذكر الله، وكذلك الأدعية، لأنّ المبدوء به في نفسه تسمية لله سبحانه، فلا محل لتسمية أخرى لبداية ذكر الله سبحانه.

والتسمية المناسبة مع القرآن الكريم - في ضوء ذلك - تكون هي البسملة، لأنّ أوائل السور في القرآن الكريم عموماً هي ذكر الله تعالى - أي هي تسمية-، فسورة

الحمد على سبيل المثال منذ بدايتها بعد بسم الله تبتدئ بالحمد لله فهي - أيْ: الحمد لله - تسمية لله تعالى، ولا معنى لأن يقال يُبدأ باسم الله تعالى أو يسمّى الله تعالى، فمضمونها تسمية الله سبحانه وتعالى، نعم بعض السور القرآنية ليست في بدايتها تسمية لله تعالى، كسورة المعارج التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿سَأَلَ

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٣، وسورة الحشر: آية ٢١.

(٢) سورة هود: آية ١٢٠.

(٣) والفعل المقدّر فيها على الأرجح (اقرأ) بصيغة الأمر أو الماضي كما سيجيء توضيح ذلك.

سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[1]، فالأدب الملائم مع السور هي التسمية على وجه البسملة.

هذا، والتسمية على وجه البسملة أبلغ، لأنّ في ذكر الاسم مضافاً إلى الله تعالى وربط القول أو الفعل به صريحاً نوعاً من التركيز والاهتمام والعناية الزائدة، فإذا قلت: (أذبح باسم الله) فهذا آكد من أن تقول: (الله أكبر) أو (يا الله) أو (الله) مثلاً.

إذاً البسملة تلهم ذكر الله سبحانه بصيغة البسملة أو بالتسمية على وجه آخر في سائر الأقوال والأفعال.

ومما يساعد على هذا الاستلهام أمور:

الأول: المناسبات التي ينتبه إليها الإنسان النابه من خلال التأمل والممارسة، ويساعد عليه التلقي النابه لمن مارس قراءة القرآن الكريم وتمعّن في مضامينه ومقاصده وغاياته وقواعده وأساليبه التربوية، كما يؤشر على ذلك الارتكاز المتشرعي الموافق على مثل هذا الاستلهام.

هذا، ولكن قد تعتبر هذه المناسبات مؤشراً ناقصاً في نفسها، وإنّما يمكن اعتبارها عاملاً مساعداً مع النص الشرعي.

الثاني: أنّه جاء في القرآن الكريم ذكر الابتداء باسم الله تعالى في موارد غير بدايات السور بما يُنبه ويؤكد الاستلهام المثِلي من البسملة:

١- في الرسائل الشخصية، فيما جاء من رسالة سليمان النبي عليه السلام إلى ملكة سبأ كما ذكرنا آنفاً.

٢- عند الركوب، كما جاء عن نوح عليه السلام أنّه قال: ﴿ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾[2]، فهذا بسملة عند الركوب.

٣- عند تذكية الحيوان بالصيد والذبح، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[3]، وقال عز من قائل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾[5].

(١) سورة المعارج: آية ١.

(٢) سورة هود: آية ٤١.

(٣) سورة المائدة: آية ٤.

(٤) سورة الحج: آية ٣٤.

(٥) سورة الحج: آية ٣٦.

وقد كان ذكر اسم الإله عند ذبح الحيوان وتذكيته متعارفاً عند العرب قبل الإسلام وكانوا يذكرون أسماء آلهتهم دون اسم الله تعالى، وقد ذمهم الله سبحانه بذلك، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾[1]، وحرّم على المؤمنين أن يؤكل ممّا لم يذكر اسم الله تعالى عليه فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[2].

بل يبدو أنَّهم كانوا يمتنعون من أكل ما سُمِّي عليه الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[3]، وكان السبب فيه أنَّهم لجهلهم جعلوا مع الله تعالى آلهة وكأنّهم كانوا يفرضون نوعاً من الغيرة بخرافاتهم بين الآلهة وبين الله تعالى، وكأنها على حدٍّ الشخص الذي يجعل واسطة إلى رئيسٍ ويجد أحياناً أنَّ التوجه إلى الرئيس مباشرة يوجب تحسس الوسيط، وقد يكون بعض الوسطاء كذلك فإذا رأى أنَّ الشخص يريد أن يصل إلى الرئيس بدون توسطه فإنّه يتحسس، ويقول مثلاً: (إنّك يجب أن تتصل به من طريقي، ولماذا لم تقل لي؟!)، فهم كانوا يجرون في خرافاتهم إلى إرضاء آلهتهم بالحط من الأدب مع الله سبحانه وتعالى، كما ذُمُّوا في الآية الشريفة: ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[4]، وتلك افتراءات عجيبة أتاحتها ذهنية ناس جهلاء توارثوها قرناً بعد قرن، فنشأت من هذه الخرافات في أوساطهم وازدادت بمرور الزمن عليها وتجذرت في عقائدهم.

إذاً هذه المواد شواهد قرآنية على أنَّ للبسملة في القرآن الكريم بعداً مثلياً من حيث ترجيح البسملة عند بداية كلِّ فعل يمارسه الإنسان أو ترجيح التسمية على كلِّ حال.

الثالث: عمل النبي صلى الله عليه وآله حيث إنّه كان يجري في مواثيقه ورسائله وخطبه على هذا المثال، فكان يبدؤها بالتسمية ثم بالتحميد حسب اقتضاء المقام[5].

(١) سورة الأنعام: آية ١٣٨.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٢١.
(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١١٨-١١٩.
(٤) سورة الأنعام: آية ١٣٦.
(٥) فقد جاء عن صلح الحديبية الذي وقع في السنة السادسة للهجرة: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الإمام عليًّا عليه السلام ليكتب بنود الصلح،

فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فكتبها»، وقد ذكر أن الرسائل النبوية على أقسام:

القسم الأول: تبدأ من الهجرة إلى واقعة الخندق، وهي تحمل الطابع السياسي وتهدف إلى مخالفة القبائل على ما هي عليه من الكفر والشرك لإضعاف قريش وإحكام الحصار حولها.

القسم الثاني: كُتبت رسائله ما بين عام ٥ هجرية وفتح مكّة، ونرى رسول الله ﷺ أقوى مركزاً وأنفذ كلمة، فنراه يضع شروطاً على مَن يراسله: الإسلام أو الجزية مثل رسالته للمنذر بن ساوى ولابني الجُلُندي.

أمّا القسم الثالث: ما بعد غزوة تبوك، وكان النبي قد بلغ فيها أعلى درجات القوة، إذ فرض الزكاة، وبعث العُمّال والأمراء لجمع الصدقات، مثل كتبه إلى ملوك حمير وهمدان وبني كلب. والعديد من هذه الرسائل لا يزال باقياً حتى اليوم، وضاع أكثرها... ولدينا منها: كتابه إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، والذي اكتشف أصله المكتوب المستشرق الفرنسي (بارتيلمي) في كنيسة بالقرب من أخميم بصعيد مصر، وهو موجود الآن في متحف طوب قابي بإسطنبول.

كتابه إلى المنذر بن ساوى الذي نشره المستشرق الألماني فلايشر في مجلّة جمعية المستشرقين الألماني.zomg.

كتابه إلى كسرى ملك الفرس موجود بخزانة كتب خاصة واكتشفه الدكتور صلاح الدين المنجد.

كتابه إلى النجاشي، اكتشفه المستشرق الإنجليزي (دنلوب) ونشره في مجلّة الجمعية الملكية الآسيانية jras الإنجليزية في يناير ١٩٤٠م. وقد اعتنى المسلمون عناية بالغة بهذه الرسائل واحتفظوا بنسخها في أماكن خاصة، وكانت القبائل والأسر تحفظها تبرّكاً بها، واعتنى بها المؤلّفون القدامى كعروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هـ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم المتوفى سنة ١٣٠ هـ، ومَن بعدهم من المؤرخين... وهذه الرسائل لا يرقى إليها أيُّ شكوك في صحتها... ولكن ماذا عن كتّابها؟ (المجلّة العربية، السبت ١١/ ٨/ ٢٠١٨، مجدي إبراهيم: مصر، عنوان المقال: الرسائل النبوية الشريفة).

وقد قيل في وصف رسائله: «كانت رسائل النبي ﷺ تتألف من: رسائل وكتب أمان ومعاهدات، وكتب قسمة للغنائم وإقطاعات، وكانت تشترك جميعها في بعض الخصائص العامة، كما كان كلٌّ منها يختص بخصائص لا توجد في غيره. فالرسائل: تتشابه مع بعضها البعض، ولكن يوجد بينها اختلاف واضح وذلك تبعاً لوقتها ولمن ترسل إليه، وعلى الرغم من وجود الاختلاف بينها كانت لها بعض خصائص، وذلك أنّها تصدر بالبسملة ثم تبدأ بذكر المرسِل وهو الرسول ﷺ: «من محمد رسول الله إلى فلان...» وقد لا تُذكر البسملة بل تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة أو يقول: «هذا كتاب من محمّد رسول الله إلى فلان» أو يبدأ الكتاب بقوله: «إلى فلان مباشرة...» وكان يأتي في صدر كتبه بالسلام فيقول للمسلم: «السلام عليك»، كما يقول لغير المسلم: «السلام على مَن اتبع الهدى»، أو: «سلام على من اتبع الهدى»، وقد يقول: «سلام على مَن آمن»، أو يقول: «سلام الله عليك» أو «السلام عليكم.. كما كان يبدأ كتبه ﷺ إلى مَنْ يدعوهم إلى الإسلام بقوله: «سلْم أنت أو أنتم» أو «سلام أنتم»، وقد لا يذكر السلام.

وقد اقتفى المسلمون أثر القرآن الكريم والنبي ﷺ في سيرتهم العملية في الابتداء بالبسملة في الخطب والتآليف والدرس والبحث وغيرها، ولا تزال الخطب والتآليف والبحث والمذاكرة تبدأ باسم الله سبحانه، فأصبحت التسمية أدباً لازماً خصوصاً في الأقوال المعني بها مثل الخطب والتآليف وحلقات البحث والدرس، حتى إنّ الإنسان إذا بدأ بدون ذكر اسم الله سبحانه فكأنّه بدأ الكلام من وسطه.

وقد رُوي حديث يتضمن التصريح بذلك وهو ما روي عن أبي هريرة: (قال رسول الله ﷺ كلُّ كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر)، فهذا حديث حسن من حيث مضمونه، فهو مضمون قريب، لكنه قد لا يكون معتبراً وفق موازين النقد التاريخي والروائي.

وذلك: أنَّ هذا الحديث لم يرد في روايات الإمامية المعروفة [1]، كما أنَّه لم يرد في الكتب المعتبرة المعروفة لدى أهل السنة كالصحيحين والسنن[2].

هذا، وليس في قرب مضمون الرواية – بل صحته – ما يقيه من الجعل، فإنّ كثيراً من الآداب والخصوصيات يكثُر الوضع فيها، كما يعلمه الممارس في علم الحديث، فلا ينبغي أن يجعل حسن المضمون حجاباً يمنع عن التدقيق التاريخي السندي للنصوص والأقوال، بل ينبغي حفظ ذلك كلِّه في موضعه.

الرابع: أنَّه قد وردت البسملة أو التسمية في السنة والروايات المأثورة في مواضع تمثل استلهاماً مثلياً من القرآن الكريم:

منها: التسمية أو البسملة عند الوضوء، كما وردت في عدة روايات، منها صحيحة محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام: «**فاعلم أنّك إذا ضربت**

وكان يعقب السلام بالتحميد فيقول: «فإنِّي أحمد إليك – إليكم – الله الذي لا إله إلَّا هو، وربما ترك ذلك.. وقد يذكر الشهادة وقد لا يذكرها، وكان يبدأ كتبه أحياناً بعبارة (أما بعد)» (المجلّة العربية، السبت ١١/ ٨/ ٢٠١٨، مجدي إبراهيم: مصر، عنوان المقال الرسائل النبوية الشريفة).

(١) رواه في وسائل الشيعة (الإسلامية): ٤/ ١١٩٤، عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري، وليس مصدراً معتبراً.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٣٥٩، وهو وإن كان نحو اقتناء للأحاديث التي رأى تجميعها، لكنه لم يكن على أساس تحري الحديث الموثوق خاصة كما هو معروف.

يدك في الماء وقلت: بسم اللَّه الرحمن الرحيم تناثرت الذنوب التي اكتسبتها»[1].

وقد وردت عند أهل السنة أيضاً روايات في ذلك.[2]

ووردت التسمية عند الأكل والشرب، ولبس الثياب، والمعاشرة مع الزوجة، ودخول الخلاء، ودخول المسجد والخروج منه، والخروج من البيت، والذبح، والركوب، ووضع الميت في قبره، وموارد أخرى كثيرة.[3]

فهذه الموارد منبهات وشواهد روائية على الاستلهام المثلي من آية البسملة في القرآن الكريم من خلال النص القرآني.

ومن اللافت أنَّه قد ورد في حديث أئمة أهل البيت عليهم السلام التنبيه على هذا النحو من الاستلهام من القرآن الكريم، ففي حديث حسن رواه الكافي[4] بإسناده إلى يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان، وابن مسكان، عن أبي الجارود قال: (قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله، ثم قال في حديثه: إنَّ الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقالوا: يا بن رسول الله وأين هذا من كتاب الله؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهم ﴾ وقال: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ وقال: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾».

وبذلك يظهر أنَّ هذه الآية الشريفة التي روعي الالتزام بها في القرآن الكريم في بداية السور كجزء داخلي منها – عدا البراءة لسبب شرحناه من قبل – رغم أنَّها تمثل حالة خاصة، إلَّا أنَّ لها بُعداً مثلياً ملهماً.

وإذا بني على أنَّ الدلالة الذاتية

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية): ١/ ٢٧٦.

(٢) فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم اللَّه عليه» المجموع: ١/ ٣٤٣، ورووا أيضاً عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم اللَّه» مسند أحمد: ٢/ ٤١٨، ورووا: «إذا توضأ العبد فذكر اسم الله في وضوئه طهر جسده كلُّه وإذا توضأ ولم يذكر اسم الله لم يظهر إلَّا ما أصابه الماء» (المصنف ابن أبي شيبة: ١/ ١٣).

(٣) وكذلك وردت البسملة في فقرات من الأقوال العبادية مثل بداية تشهد الصلاة وبداية سجدتي السهو وبداية بعض أدعية السجود وغير ذلك.

(٤) الكافي: ٥/ ٣٠٠، ح٢، والإسناد صحيح إلى (أبي الجارود)، ولكن في الرجل لين ولا بأس بمثل هذا من أحاديثه.

للنص القرآني لا ترقى إلى درجة الاستنباط الشرعي - حذراً من الوقوع في الاستحسان - فيكفي مساعدة السنّة الشريفة على ذلك، ومن الظاهر بالتأمُّل والمقارنة بين ما ورد في القرآن الكريم وما جاء في السنة الشريفة أنَّ بعض الاستلهامات الظريفة من الآيات الشريفة تكون بتنبيه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وقد تصل إلى مستوى الحجية والاتباع بهذه الضميمة النبوية.

بقي إلفات النظر إلى أنّ تأكُّد الإتيان بأدب البسملة يختلف بحسب اختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال فيها كما جاء اختلاف رسائل النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، وهذا الاختلاف يرجع إلى أمور متعددة بحسب كون الكلام رسالة كتبية أو خطبة أو معاهدة، وبحسب مضمون الكلام من كونه حول الدين والتوجيه الديني أو موضوعاً اعتيادياً، وبحسب وجود المخاطب وعدمه، وبحسب نوع المخاطب في كونه متديناً أو مدعواً الى الدين أو غير ذلك، وبحسب تعارف البسملة فيه أو تعارف عدمه أو لا، وبحسب تلقي المخاطب من الإتيان بها أو تركها، وما يمكن أن يدخله من الوهم بذلك، إلى غير ذلك.

ولذلك ربما اقتضى مقامٌ ما ترك البسملة، كما تركت في القرآن الكريم في سورة البراءة باقتضاء المقام لإبداء كلام صادم وحازم وقوي وشديد دون أيّة مقدمة فتركت البسملة تعبيراً عن الحزم والشدة، كما بيّناه في بحث جزئية البسملة، وكذلك ترك النبي صلى الله عليه وآله البسملة في بعض رسائله أيضاً[1].

(١) لاحظ ما تقدّم - في هامشٍ منقولٍ سابقاً - حول رسائل النبي صلى الله عليه وآله.

أوراق فلكية

حَالُ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتُهمْ

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِبْنِ عِيسى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ فقال: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ؛ فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ، وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيمَانِهِ، وَعَلِمَ فَضْلَ طُلَاوَةِ إِسْلَامِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالى - نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ، وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ، يَمُدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ؛ فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجى، وَمُعَمِّيَاتِ السُّنَنِ، وَمُشَبِّهَاتِ الْفِتَنِ.

فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالى - يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ يَصْطَفِيهِمْ لِذلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ، وَيَرْضى بِهِمْ لِخَلْقِهِ وَيَرْتَضِيهِمْ، كُلَّمَا مَضى مِنْهُمْ إِمَامٌ، نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَاماً عَلَماً بَيِّناً، وَهَادِياً نَيِّراً، وَإِمَاماً قَيِّماً، وَحُجَّةً عَالِماً، أَئِمَّةً مِنَ اللَّهِ، يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ، حُجَجُ اللَّهِ وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلى خَلْقِهِ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلَادُ، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلَادُ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ، وَمَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ، وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلَامِ، وَدَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ، جَرَتْ بِذلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلى مَحْتُومِهَا.

فَالْإِمَامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتَضى، وَالْهَادِي الْمُنْتَجى، وَالْقَائِمُ الْمُرْتَجى، اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِذلِكَ، وَاصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنِهِ فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ، وَفِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ ظِلًّا قَبْلَ خَلْقِ نَسَمَةٍ، عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ، مَحْبُوًّا بِالْحِكْمَةِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ، وَانْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ؛ بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ عليه السلام، وَخِيرَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، وَمُصْطَفىً مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُلَالَةً مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وَصَفْوَةً مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لَمْ يَزَلْ مَرْعِيًّا بِعَيْنِ اللَّهِ يَحْفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ، مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائِلُ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الْغَوَاسِقِ، وَنُفُوثُ كُلِّ فَاسِقٍ، مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارِفُ السُّوءِ، مُبَرَّأً مِنَ الْعَاهَاتِ، مَحْجُوباً عَنِ

الْآفَاتِ، مَعْصُوماً مِنَ الزَّلَّاتِ، مَصُوناً عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، مَعْرُوفاً بِالْحِلْمِ وَالْبِرِّ فِي يَفَاعِهِ، مَنْسُوباً إِلَى الْعَفَافِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ، مُسْنَداً إِلَيْهِ أَمْرُ وَالِدِهِ، صَامِتاً عَنِ الْمَنْطِقِ فِي حَيَاتِهِ.

فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالِدِهِ، إِلى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ مَقَادِيرُ اللَّهِ إِلى مَشِيئَتِهِ، وَجَاءَتِ الْإِرَادَةُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ إِلى مَحَبَّتِهِ، وَبَلَغَ مُنْتَهى مُدَّةِ وَالِدِهِ عليه السلام، فَمَضى وَصَارَ أَمْرُ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَلَّدَهُ دِينَهُ، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلى عِبَادِهِ، وَقَيِّمَهُ فِي بِلَادِهِ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِ، وَآتَاهُ عِلْمَهُ، وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ، وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ، وَنَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلى أَهْلِ عَالَمِهِ، وَضِيَاءً لِأَهْلِ دِينِهِ، وَالْقَيِّمَ عَلى عِبَادِهِ، رَضِيَ اللَّهُ بِهِ إِمَاماً لَهُمُ، اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ، وَاسْتَحْفَظَهُ عِلْمَهُ، وَاسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ، وَاسْتَرْعَاهُ لِدِينِهِ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ، وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ، فَقَامَ بِالْعَدْلِ عِنْدَ تَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَتَحْبِيرِ أَهْلِ الْجَدَلِ، بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ، بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ، وَالْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ، عَلى طَرِيقِ الْمَنْهَجِ، الَّذِي مَضى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ عليهم السلام، فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هذَا الْعَالِمِ إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا».

[الكافي: ج١، ص٥٠٣]

الإمامة بيد الله

السيد علي الميلاني

إنّه وإنْ أخبر النبيﷺ عن ثبوت الإمامة لأمير المؤمنين سلام الله عليه قبل هذا العالَم، أخبرنا بأنّ الإمامة والوصاية والخلافة من بعده ثابتة لعلي، هذا الثبوت قبل هذا العالم كان لأمير المؤمنينعليه السلام، كما ثبتت النبوة والرسالة لرسول اللهﷺ قبل هذا العالم...

أخبرنا رسول الله عن هذا الموضوع في حديث النور، هذا الحديث في بعض ألفاظه: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالىٰ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم، قسّم ذلك النور جزئين، فجزءٌ أنا وجزء علي».

هذا الحديث من رواته:

١ ـ أحمد بن حنبل، في كتاب المناقب.

٢ ـ أبو حاتم الرازي.

٣ ـ ابن مردويه الأصفهاني.

٤ ـ أبو نعيم الأصفهاني.

٥ ـ ابن عبد البر القرطبي.

٦ ـ الخطيب البغدادي.

٧ ـ ابن عساكر الدمشقي.

٨ ـ عبد الكريم الرافعي القزويني، الإمام الكبير عندهم.

٩ ـ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني.

وجماعة غير هؤلاء، يروون هذا الحديث عن رسول اللهﷺ، بواسطة عدّة من الصحابة، وبأسانيد بعضها صحيح [1].

وقد اشتمل بعض ألفاظ هذا الحديث علىٰ قوله: «فجعل فيَّ النبوّة وفي عليٍّ الخلافة»، وفي بعضها: «فجعل فيّ الرسالة وفي عليٍّ الوصاية» [2].

لكن كلامنا في هذا العالم، وأنّ رسول اللهﷺأخبر عن أنَّ الإمامة إنّما هي بيد الله سبحانه وتعالىٰ، الإمامة حكمها حكم الرسالة والنبوّة كما ذكرنا، ففي أصعب الظروف وأشدِّ الأحوال التي كان عليها رسول الله في بدء الدعوة الإسلاميّة، عندما خوطب من قبل الله سبحانه وتعالىٰ بقوله: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ) جعل رسول اللهﷺ

(١) مناقب علي لأحمد بن حنبل، وعنه المحبُّ الطبري في الرياض النضرة: ج٢، ص٢١٧، وسبط ابن الجوزي في التذكرة: ٤٦، ورواه الحافظ الكنجي في الكفاية: ٣١٤، عن ابن عساكر والخطيب البغدادي، وانظر: ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ١ / ١٣٥، ونظم درر السمطين: ٧٨ ـ ٧٩، وفرائد السمطين ١ / ٣٩ ـ ٤٤، والمناقب للخوارزمي: ٨٨، والمناقب لابن المغازلي: ٨٧ ـ ٨٩.

(٢) رواه الديلمي في فردوس الأخبار، وابن المغازلي في المناقب، وغيرهما من الأعلام.

يعرض نفسه على القبائل العربية، ففي أحد المواقف حيث عرض نفسه علىٰ بعض القبائل العربيّة ودعاهم إلىٰ الإسلام، طلبوا منه واشترطوا عليه أنّهم إنْ بايعوه وعاونوه وتابعوه أن يكون الأمر من بعده لهم، ورسول الله بأشدّ الحاجة حتىٰ إلى المعين الواحد، حتّىٰ إلىٰ المساعد الواحد، فكيف وقبيلة عربيّة فيها رجال، أبطال، عدد وعُدّة، في مثل تلك الظروف لمّا قيل له ذلك قال: «الأمر إلىٰ اللّه...» ولقد كان بإمكانه أن يعطيهم شبه وعد، ويساومهم بشكل من الأشكال، لاحظوا هذا الخبر:

يقول ابن إسحاق صاحب السيرة - وهذا الخبر موجود في سيرة ابن هشام، هذا الكتاب الذي هو تهذيب أو تلخيص لسيرة ابن إسحاق - إنّه - أي النبي صلى الله عليه وآله - أتىٰ بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلىٰ الله عزّوجلّ، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم ويقال له بحيرة بن فراس قال: والله لو أنّي أخذت هذا الفتىٰ من قريش لأكلت به العرب، ثُمّ قال: أرأيت إنْ نحن بايعناك علىٰ أمرك، ثُمّ أظهرك الله علىٰ من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء»، فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه[1].

وفي السيرة الحلبية: وعرض علىٰ بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم: أرأيت إنْ نحن بايعناك علىٰ أمرك ثُمّ أظفرك الله علىٰ من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال: «الأمر إلىٰ الله يضعه حيث شاء»، فقال له: أنقاتل العرب دونك، وفي رواية: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، أيْ: نجعل نحورنا هدفاً لنبالهم، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه[2].

هذا، والرسول - كما أشرت - في أصعب الأحوال وأشدِّ الظروف، وكلُّ العرب وعلى رأسهم قريش يحاربونه ويؤذونه بشتّىٰ أنواع الأذىٰ، يقول: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

ولو راجعتم الآيات الكريمة الواردة في نصب الأنبياء، غالباً ما تكون بعنوان «الجعل» وما يشابه هذه الكلمة، لاحظوا قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(١) رواه جماعة، منهم: ابن المغازلي في المناقب.
(٢) سيرة ابن هشام: ج١، ص٤٢٤.

﴿ إِمَاماً ﴾ هذا في خطابٍ لإبراهيم عليه السلام، وفي خطاب لداود: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ ﴾.

ومن هذه الآية يستفاد أنَّ الحكم بين الناس حكم من أحكام النبوّة والرسالة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ ﴾ الحكم من أحكام الخلافة، وليست الخلافة هي الحكومة، وقد أشرت إلىٰ هذا من قبل في بعض البحوث، الخلافة ليست الحكومة، وإنّما الحكومة شأن من شؤون الخليفة، تثبت الخلافة لشخص ولا يتمكّن من الحكومة علىٰ الناس ولا يكون مبسوط اليد ولا يكون نافذ الكلمة، إلَّا أنَّ خلافته محفوظة.

وإذا كانت الآيات دالّة علىٰ أنَّ النبوّة والإمامة إنّما تكون بجعل من الله سبحانه وتعالىٰ، فهناك بعض الآيات تنفي أن تكون النبوّة والإمامة بيد الناس، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وتعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، وذيل الآية ربّما يؤيّد هذا المعنىٰ، إنّ القول باشتراك الناس وبمساهمتهم وبدخلهم في تعيين النبوّة لأحدٍ أو تعيين الإمامة لشخص، هذا نوع من الشرك، وإلىٰ الآن نرىٰ أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله يصرِّح بأنّ الأمر بيد الله، أي ليس بيد النبي، فضلاً عن أن يكون بيد أحدٍ أو طائفة من الناس.

حتّى إذا أُمر بإنذار عشيرته بقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ فجمع أقطابهم، فهناك أبلغ الناس بأنّ الجعل بيد الله، وأخبرهم بالذي حصل الجعل له من الله من بعده[1]. وهكذا كان صلى الله عليه وآله ينصُّ علىٰ علي، وإلىٰ آخر لحظة من حياته المباركة.

ولم نجد، لا في الكتاب ولا في سنّة رسول الله دليلاً ولا تلميحاً وإشارةً إلىٰ كون الإمامة بيد الناس، بأن ينصبوا أحداً عن طريق الشورىٰ مثلاً، أو عن طريق البيعة والاختيار، ولا يوجد أيُّ دليل علىٰ ثبوت الإمامة بغير النصِّ.

[الشورى في الإمامة]

(١) السيرة الحلبيّة: ج٢، ص١٥٤.

القبر والموقف والحساب

شيخ الطائفة الطوسي

أجمعت الأمة على عذاب القبر لا يختلفون فيه، وما يحكى عن ضرار بن عمرو من الخلاف فيه لا يعتد به؛ لأنّه سبقه الإجماع وتأخر عنه وإن اختلفوا في وقت عذاب القبر:

فقال جمهور الأمة من أصحاب الحديث أنّه حين الدفن، وقال قوم يجوز أن يكون عند قيام الساعة. والظواهر لا يمكن الاستدلال بها على ثبوت عذاب القبر، لأنّها مجملة نحو قوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] وغير ذلك، وقد بينا القول فيها في شرح الجمل. وأنكر قوم عذاب القبر، فقالوا هو محال، ومنهم من قال هو قبيح. وقولهما يبطل بحصول الإجماع على ثبوته وإنّه واقع، وذلك يدل على جوازه وحسنه أيضًا، فالميت إذا أعيد حيًّا جاز أن يعاقب، فلا وجه لإحالته. فأمّا من أحاله ربما ظن أنّه يعاقب وهو ميت، وهذا لا يقوله أحد.

وأمّا ضيق القبر عن العقاب فإنّه يجوز أن يوسعه الله تعالى حتى يمكن ذلك، وإن كان المتولي لذلك الملائكة فلا يحتاجون إلى سعة موضع. وإذا كان العقاب مستحقًّا فإنّه يجوز أن يكون في تقديم بعضه مصلحة للمكلفين من البشر والملائكة، فيقدم منه بعضه في الدنيا كالحدود وبعضه في القبر، لما في الإخبار به من المصلحة في دار التكليف. ومتى قال لا حال ينبش فيها الميت إلا ويوجد على ما هو عليه، فأمّا من قال ليس لعذاب القبر وقت لا يلزمه ذلك، ومن قال هو عقيب الدفن يقول لا يمتنع أن لا يعقل إذا أردنا نبش القبر لما فيه من المصلحة. ومتى قيل: لو عوقب لوجب أن يكون عاقلًا قادرًا على الكلام فكان يسمع

كلامه. قلنا: كمال العقل لا بد منه، فلا يجب أن يكون قادرًا على الكلام إمّا بأن لا يكون فيه قدرة أصلا أو يكون ممنوعًا منه.

وأمّا الملكان النازلان عليه فإنّما سمّيا منكراً ونكيراً اشتقاقاً من استنكار المعاقب لفعلهما أو نفوره عنهما، وليس بمشتق من الإنكار. وأمّا المحاسبة والمسألة في الموقف - وإن كان الله تعالى عالماً بأحوالهم لأنّه عالم لنفسه - لا يمتنع أن يكون في تقديمه غرض، لأنّ بالمحاسبة والمسألة وشهادة الجوارح يظهر الفرق بين أهل الجنة والنار ويتميز بعضهم من بعض فيسر بذلك أهل الجنة ويكثر بذلك نفعهم، ويكون لنا في العلم به مصلحة في داري التكليف. والإجماع حاصل على المحاسبة والقرآن يشهد به لقوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[1]. وكذلك شهادة الجوارح ونشر الصحف مجمع عليه، والقرآن شاهد به، لكن المسألة وإن كانت عامة فهي على المؤمنين سهلة وعلى الكافرين صعبة، لما فيها من التبكيت والمناقشة.

وأمّا كيفية شهادة الجوارح فقال قوم بينها الله تعالى متى يشهد، وقيل: إنّ الله تعالى يفعل فيها الشهادة وأضافها إلى الجوارح مجازاً، وكلا الأمرين مجاز. وقيل: إنّ الشاهد هو العاصي نفسه يشهد على نفسه بما فعله ويقرُّ به ويكون ذلك حقيقة، وقيل: إنّه تظهر فيه أمارة تدلّ على الفرق بين العاصي والمطيع. وكلُّ ذلك جائز.

فأمّا الميزان فقال قوم: إنّه عبارة عن العدل والتسوية والقسمة الصحيحة، كما يقولون كلام فلان موزون وأفعاله موزونة. وهذا وجه حسن يليق بفصاحة الكلام. وقال قوم: المراد به الميزان والكفتان، وإنّ الأعمال وإن لم يصح وزنها والصحف التي فيها هذه الأعمال يصح وزنها. وقيل: إنّه يجعل النور في إحدى الكفتين والظلمة في الأخرى، ويكون لنا في الإخبار عن ذلك مصلحة في التكليف.

وأمّا الصراط فقد قال قوم: إنّه طريق أهل الجنة والنار، وإنّه يمهد لأهل الجنة ويتسهل لهم سلوكه ويضيق على أهل النار ويشق عليهم سلوكه. وقال آخرون: المراد به الحجج والأدلة المفرقة بين أهل الجنة

(١) سورة الأنبياء: آية ٤٧.

والنار المميزة بينهم. فأمّا أهل الآخرة فالتكليف عن جميعهم زائل مثابين كانوا أو معاقبين، وإنّما كان كذلك لأنّهم لو كانوا مكلّفين لجاز منهم وقوع التوبة فيسقط عقابهم، وذلك يمنع منه الإجماع. ويمنع أيضاً من استحقاق ثواب أو عقاب لإجماعهم على أنّه ليس بدار استحقاق، ولأنّ من شأن الثواب أن يكون خالصاً صافياً من أنواع الشوب والكدر، والتكليف ينافي ذلك، فعلى هذا قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾(١) [البقرة: ٦٠] صورته صورة الأمر والمراد به الإباحة المحضة. وقال قوم: إنّه أمر لا يزيد في سرورهم إذا علموا أنّ الله يريد منهم ذلك، إلّا أنّهم لا يختلفون أنّ ذلك ليس على وجه التكليف وأنّه لا مشقة عليهم في ذلك.

وأمّا شكرهم لنعم الله تعالى فما يرجع إلى الاعتقاد فهم مضطرُّون إليه؛ لأنّ معارفهم ضرورية فهي خارجة عن التكليف، وما يرجع إلى اللسان فيجوز أن يكون لأهل الجنة فيه سرور، ومعارف أهل الآخرة ضرورة، وهم ملجأون إلى أن لا يفعلوا القبيح، ولا بدّ أن يعرفوا الله تعالى؛ لأنّ المثاب لا بدّ أن يعلم أنّ الثواب واصل إليه على الوجه الذي يستحقه، ولا يصح ذلك إلّا مع كمال العقل والمعرفة بالله تعالى وحكمته، ليعلم أنّ ما فعله به هو الذي استحقه. والقول في المعاقب مثله؛ لأنّ من شرط الثواب أن يصل إلى مستحقه مع الإعظام والإكرام من فاعل الثواب [لأنّ الإعظام من غير فاعل الثواب] لا يؤثر فيه، والإعظام لا يعلم إلّا مع القصد إلى التعظيم، ولا يجوز أن يعلم قصده من لا يعلمه. وكذلك القول في العقاب، ووصوله على سبيل الاستخفاف والإهانة. ولأنّ المثاب يجب أن يعلم أنّ ما فعل به يستحقه، ومتى لم يعلم ذلك جوز أن يكون تفضلًا فيعتقده فيكون معرضاً لجهل، وكذلك لا يتمُّ إلّا بعد معرفة الله تعالى. وكذلك أهل النار متى لم يعلموا أنّ ما يصل إليهم يستحقونه جوزوا أن يكون ظلماً، وربما اعتقدوه كذلك، فيكونون معرضون للجهل، وذلك لا يجوز ولقائل أن يقول: العاقل يعلم قبح اعتقاد لا يأمن كونه

(١) سورة البقرة: آية ٦٠.

جهلًا فهو إذا لم يعلم الثواب مستحقاً أو العقاب وجب عليه التوقف ولا يقدم.

فإذا وجبت معرفة الله تعالى فلا يخلو أن يعرفه ضرورة، أو يكون عن نظر مختارًا، [أو ملجأ إلى فعله، أو تذكر نظر، أو بأن يلجأ الفاعل إلى نفس المعرفة من غير تقدُّم نظر]. ولا يجوز أن تكون واقعة عن نظر مبتدأ، لأنّ ذلك تكليف ومشقة، وقد بيّنا أنّه ليس هناك تكليف. ولا يجوز أن يكونوا ملجئين إلى النظر، لأنّ الإلجاء إلى النظر مع إمكان الإلجاء إلى المعرفة عبث، ولأنّ ذلك أيضاً فيه مشقة. وما يمنع من الإلجاء إلى نفس المعرفة يمنع من الإلجاء إلى سبب المعرفة. ولا يجوز أن يقع عن تذكر نظر؛ لأنّ المتذكر يجوز أن يدخل عليه شبهة فيلزمه حلّها، وفي ذلك رجوع إلى التكليف الذي بيّنا فساده. وليس لأحد أن يقول: لا تعترض الشبهات في الآخرة مع مشاهدة تلك الآيات والأحوال، وذلك أنّ جميع ذلك لا يمنع من دخول الشبهة وأن تكون المعرفة مكتسبة، كما أنّ مَن شاهد المعجزات لم يمنع من ذلك في دار الدنيا. ولا يجوز أن يقع الإلجاء إلى نفس المعرفة، لأنّ الإلجاء إلى أفعال القلوب التي لا يعلمها إلّا الله لا يجوز أن تقع إلّا من الله. وإذا وجب أن يكون الملجأ إلى العلم عارفاً بالله فقد استعصى بتقدُّم المعرفة عن الإلجاء إليها. وقد قيل: إنَّ الإلجاء إلى العلم إنّما يكون بأن يعلم أنّه متى خاف اعتقادًا غيره منع منه، فإقدامه على الاعتقاد الذي وصفنا حاله لا يكون لأجله الاعتقاد علماً، فلم يبقَ من الأقسام إلّا أن تكون المعرفة ضرورية. ولا يجوز أن يكون أهل الآخرة مضطرين إلى أفعالهم على ما حكي عن أبي الهذيل؛ لأنّ الاضطرار إلى الأفعال ينقص من لذتها؛ لأنّ التخير في الأفعال أبلغ في باب اللذة والسرور.

وأيضاً فإنّ الترغيب في الثواب هو على الوجه المألوف وذلك يكون مع التخير في الأفعال. وإذا ثبت ذلك في المثاب وجب مثله في المعاقب؛ لأنّ أحداً لا يفرق بينهما. على أنّ الله تعالى أخبر بأنّهم يأكلون ويشربون ويفعلون، فأضاف الفعل إليهم،

وذلك يوجب اختيارهم. وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[1]، وذلك صريح بما قلناه. فإذا ثبت أنّهم مخيرون ولم يجز أن يكونوا مكلّفين لما مضى فيهم، فهم ملجأون إلى ترك القبيح، بأن يخلق الله فيهم العلم بأنّهم متى راموا القبيح منعوا منه. ويمكن أن يقع الإلجاء بأن يعلمهم الله بأنّهم مستغنون بالحسن عن القبيح فلا يكون لهم داعٍ له إلى فعل القبيح ملجأ، وذلك أنّ الإلجاء لا يجوز إلّا على من يجوز عليه المنافع والمضار، وإذا لم يجز على القديم لم يصح فيه معنى الالجاء.

[الاقتصاد]

(١) سورة الواقعة: آية ٢٠.

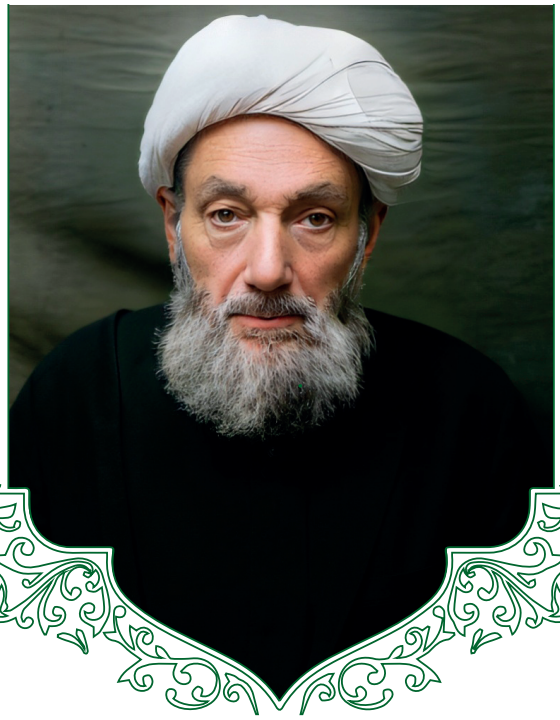

الرسالة النيتشرية
في الرد على المادية

الحلقة الثانية

العلاّمة آقا بزرك الطهراني

التجربة الأخرى للماديين في مملكة الفرس

وصلت الأمة الفارسية إلى أعلم مكانة من الكمال أحقاباً طويلة، فكانت لهم أصول السعادة، وموارد النعيم، حتى ظن ملوك الفرس أنّ أمتهم استحوذت على السعادة الموجودة في الأرض، وبلغت مملكتهم إحدى وعشرين ولاية، كانت

واحـدة منها فقط تشتمل عـلى مصر وسواحل القلزم، وبلوخستان، والسند.

ثم ظهر فيهم مـزدك[1] النيتشري الدهري المادي، واتخذ لنفسه لقب (رافع الجور ودافع الظلم)، وبنزعة من نزعاته قلع أصـول السعادة من بلاد الفرس، ونسفها في الهـواء نسفاً، وبـدأ تعاليمه بقوله: جميع القوانين والحـدود التي -وضعت بين الناس - قاضية بالجور، مقررة للظلم، ومبنية على الباطل، وإنّ الشريعة الدهرية لم تنسخ، ولم تنس حتى الآن، وإنّما هي محفوظة عند الحيوانات والبهائم.

أيُّ عقل وأيُّ فهم يصل إلى ما شرّعته الطبيعة؟! وأيُّ إدراك يحيط بمثل ما أحاطت به، وقد جعلت الطبيعة حقّ المأكل والمشرب والمضاجعة، مكفولاً لكلّ الناس، آكلين شاربين مضاجعين، بـدون أدنـى تكليف أو تخصيص، لماذا يمنع المال وهو شائع؟! لماذا تمنع المرأة وهي متاحة؟! ولم يزل يذكر تعاليمه ويتلوها على قومه، حتى شاعت أفكاره بين الأمة الفارسية، فزال الحياء، وانتشر الـغدر والخيـانـة، وتحكمت الصفات البهيمية في البشر.

ثم قتل (أنوشيروان) ذلك الدهري مزدك، وجماعة من شيعته، لكنه لم يستطع محو هذه الأفكار الفاسدة بعدما تغلغلت في العقول، حتى صارت سبباً في ضعفهم وهوانهم، فلما هاجمهم العرب انتصروا عليهم بعد حملة واحـدة، وهـم الذين أذاقوا الروم مرارة الهزيمة مرات عديدة.

صنائع الماديين في الأمة الإسلامية

ثم جاءت الأمة الإسلامية مجتمعة حـول الـديـانـة الـسـماويـة والـشريـعـة المحمدية، فأشربت قلوبهم تلك العقائد الجليلة، وتمكنت في نفوسهم تلك الصفات الفاضلة، فكان من شأنهم أن بسطوا نفوذهم على رؤوس الأمم من جبال الألـب حتى الصين خـلال قرن واحد، وحثوا تراب المذلة على رؤوس الأكاسرة والقياصرة، رغم قلة عددهم وعـتـادهـم، ولم ينالوا تلك السيطرة والـنـفـوذ إلَّا بـما حـازوا مـن العقائد الصحيحة، والصفات الكريمة، هذا

(١) مـزدك: ظهر في عهد (خسرو قباد) من ملوك فارس، وزعم أنّ الله بعثه ليأمر بشيوع النساء والأموال بين الناس كافة؛ لأنّهم كلّهم أخـوة وأولاد أب واحـد، وانقاد (قباد) إلى مذهب هذا المضلل، وأباح له أن يخلو بالملكة زوجته، إلَّا أنّ ابن (قباد) وهو (أنوشروان) حسم الأمر بقتل (مزدك) وأصحابه.

إلى ما جذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون شخص دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من الزمان من أمم مختلفة، مع أنَّهم كانوا يخيِّرونهم بين الإسلام، وبين شيء زهيد من الجزية، لا يثقل عليهم دفعه، فاختاروا الإسلام.

فلمّا جاء القرن الرابع بعد الهجرة، ظهر الدهريون (الطبيعيون) تحت مسمى (الباطنية) في مصر، وشاعت أفكارهم في سائر البلدان الإسلامية خاصة في إيران، ولما وجدوا حصن المسلمين المتين يصدهم عن بثّ سموم أفكارهم اتجهوا إلى مذاهب التدليس والتشكيك، وبنوا تعاليمهم على عدة أمور:

أولها: إثارة الشك في قلوب المسلمين، حتى يتفكك عقد الإيمان.

وثانيها: احتواء الذين وقعوا في الشكوك لطمأنتهم وهدايتهم إلى طريقهم، فإذا انقادوا لهم أخذوا منهم المواثيق والعهود على أتباعهم.

وثالثها: أوعزوا إلى دعاتهم أن يلبسوا لعلماء الدين الإسلامي لباس الخدعة، وجعلوا من شروط الداعي أن يكون بارعاً في التشكيك، ماهراً في التلبيس، مقتدراً على إشراب القلوب مطالبه.

ولبث الدهريون زمناً في إقناع من يقع في شباكهم بأفكارهم الخبيثة وعقائدهم الباطلة، فأحلُّوا الحرام، وأشاعوا الفواحش وأثاروا الموبقات، ونهوا عن الصلاة، والصيام، والأمانة، والصدق، حتى انكشف أمرهم عند علماء المسلمين ورؤسائهم، فانتصبوا لدرء مفاسدهم وصدّ دعواتهم، فلما كثرت معارضهم بدأوا بقتل من يقف أمامهم، ففتكوا بكثير من الصالحين، وأراقوا دماء جمٍّ غفير من الأمة الإسلامية.

ثم تمكن بعضهم من تولي بعض المناصب في البلدان الإسلامية، فعمل على جمع أتباعه ونشرهم في الأراضي الإسلامية، وتمكينهم، حتى أفسدوا أخلاق الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً، وزعزعوا أركان عقائدها، وساعدهم مدُّ الزمان على تلويث النفوس بالأخلاق الرديئة، وتجريدها من السجايا الكاملة.

ومن عاقبة ذلك، أنَّ جماعة من الإفرنج غاروا على أطراف البلاد السورية وسفكوا دماء الآلاف من سكانها الأبرياء، وخربوا ديارهم،

وأقاموا بها نحو مائتي سنة.

والمسلمون عاجزون عن صدِّهم رغم أنَّ الإفرنج كانوا في خوف وقلق شديدين من المسلمين قبل ذلك الوقت.

كما قام جماعة من أوباش التتار والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين، وهدموا كثيراً من المدن الإسلامية، وأهدروا دماء ملايين الناس، ولم يكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع أنَّ مجال خيولهم في بدء الإسلام على قلّة عددهم كان ينتهي عند سور الصين.

أسباب الانتكاسة:

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه الفتن والابتلاءات، إلَّا بعد أن كلّت بصائرهم، وعميت أفئدتهم، وخربت أمانتهم، واتبعوا دعاة الضلال.

لكن قلّة قليلة من بقايا الأخلاق الحميدة لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم، فأنهضتهم من كبوتهم، وأيقظتهم من غفلتهم، ووقفوا في وجه الإفرنج، وأجلوهم عن بلادهم، وتصدّوا للجنكيزيين، وطوّقوهم بطوق الإسلام، لكنهم لم يستطيعوا اجتثاث هذا الوباء من جذوره.

ولهذا ذهب المؤرّخون إلى أنَّ بداية الانحطاط في دولة المسلمين كانت من حرب الصليبيين. والأجدر أن يقال: إنّ ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة، والعقائد النيتشرية (الدهرية المادية)، وسريان هذه السموم في نفوس المسلمين.

ولا يخفى على أحد أنَّ فئة ظهرت في الأيام الأخيرة ببعض البلاد الشرقية، وسفكت دماء كثيرة، وفتكت بأرواح عزيزة، بسبب تعاليمهم الفاسدة وعقائدهم الباطلة، فعلينا أن ننتظر ما يكون من آثار بدعها في الأمة التي ظهرت بها.

جولة الماديين مع الشعب الفرنسي:

الشعب الفرنسي؛ شعب كان قد تفرّد بين الشعوب الأوروبية بإحراز النصيب الأوفر من الأصول الستة، فرفع منارة العلم والمعرفة، وأعاد بناء الصناعات في أوروبا بعد الرومانيين، وصار بذلك مشرقاً للتمدُّن في سائر الممالك الغربية.

وبما أحرز الفرنسيون من تلك الأصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب إلى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي، حتى ظهر فيهم (فولتير) و(روسو) يزعمان حماية العدل، ومواجهة الظلم، وإنارة العقول، ودحض الخرافات، فنبشا قبر أبيقور الكلبي، وأحييا ما بلي من الدهريين، ونبذا كلّ تكليف ديني، وغرسا بذور الإباحة والاشتراك، وزعما أنَّ الآداب الإلهية خرافات دونية، كما زعما أنَّ الأديان مخترعات أحدثها العقل البشري الناقص، وقد ألّف (فولتير) كثيراً من الكتب في تخطئة الأنبياء، والاستهزاء بهم، والقدح في أنسابهم.

فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنسيين، ونالت من عقولهم، فنبذوا الديانة المسيحية، ونفضوا منها أيديهم.

ومع أنَّ نابليون الأوّل قد بذل جهده في إعادة الديانة المسيحية إلى ذلك الشعب استدراكاً لشأنه، فإنّه لم يستطع محو آثار تلك الضلالات، وهذا ما أدّى إلى سقوط الفرنسيين في هزيمة نكراء على يد الألمان، وجَلبَ إليهم خسائر تعسر عليهم تعويضها في سنوات عديدة، وهذه الأباطيل الدهرية قام عليها مذهب الاشتراكيين.

المذاهب الثلاث والماديون صنوان:

الاجتماعيون والاشتراكيون والعدميون، هذه الطوائف تتّفق في سلوك هذه الطريقة الدهرية، وقد زيّنوا ظواهرهم بدعوى أنَّهم سند الضعفاء، والمطالبون بحقوق المساكين والفقراء، وكلّ طائفة منهم -وإن لوّنت وجه مقصدها - إلَّا أنَّ غاية ما يطلبون هو رفع كافة الامتيازات الإنسانية، وإباحة الكلِّ للكلِّ، واشتراك الكلِّ في الكلِّ.

وكم سفكوا من دماء، وكم هدموا من بناء، وكم أثاروا من فتن، سعياً في تنفيذ الشريعة النيتشيرية، وتعميم الإباحة، والاشتراك في كلِّ شيء.

وقد نظر هذه الطوائف في كلِّ الوسائل المتاحة لبثِّ أفكارهم، فلم يجدوا وسيلةً أنجح في زرع بذور الفساد في النفوس من وسيلة التعليم، سواء بإنشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف، أو الانضمام إلى سلك المعلمين في مدارس غيرهم، ليقرِّروا أصولهم في أذهان الأطفال الصافية، وهم في طور

السذاجة، فتنتقش بها مداركهم تدريجياً.

فسعى بعض هؤلاء الدهريين إلى بناء المدارس، ودعوة الناس إليها، وسعى البعض الآخر إلى التنقل في بلدان أوروبا يطلبون وظائف التعليم، حتى زادت شهرتهم، واتسع نفوذهم في أقطار الممالك الأوروبية خاصة في المملكة الروسية.

ومما سبق، تبيّن أنَّ طائفة النيتشريين -الماديين - كلما ظهرت في أمة أفسدت أخلاقها، وأوقعت الخلل في عقولها، وتخطّفت قلوب آحادها، بكلِّ أنواع الحيل والتلبيس، حتى تصبح تلك الأمة واهية، غارقة في بحر الشهوات، تائهة في متاهة الرذائل وسيئ الأخلاق.

[ملخص الرسالة النيتشيرية إلى السيد جمال الدين الأفغاني][1]

(١) تنظر ترجمته: طبقات أعلام الشيعة: ج٣، ص ٣١٠-٣١٣، رقم ٦٤٠.

أنبياء اللَّه
وعلماء الطبيعة

العلاّمة محمد جواد مغنية

إنّ أكثر علماء الطبيعة في هذا العصر، أو الكثير منهم يؤمنون بوجود الله؛ لأنّهم رأوا أنَّ هذا الكون الذي يتعاملون معه يسير وفقاً لقوانين ثابتة وصريحة تتحكّم به، ولا تحيد عنه بحال، ومن أجل هذا أمكن رصدها وقياسها والاستفادة منها، وهذا يحتم وجود قوة عليا وراء الكون تهندس وتبني وهذه القوة هي الله.

وبتعبير ثانٍ ليس من الضروري ليكون الإنسان عالمًا بوجود الشيء أن يجربه في

المعمل، ويـراه رأي العين، بل يكفي أن يعلم علمـًا لا يتطرق إليه الشك والاحـتـمال، سـواء أجـاءه هـذا العلم والجـزم من التجربة والعيان، أم من الاستنتاج العقلي البديهي. وصاحب الفكر والنظر إذا تأمل هذا الكون تأملًا علميا مجردًا عن كلِّ شائبة ينتهي حتمًا إلى العلم بوجود الله.. ولكن علماء الطبيعة الذين آمنوا بالله عن علم نفوا أن يكون له رسل من بني الإنسان يوحى إليهم، وقالوا: إنّ الطبيعة وحدها هي كتاب الله، وليس التوراة والإنجيل والقرآن.

ولست أشك أنّ هؤلاء العلماء لو أعطوا لدراسة القرآن قليلًا من الوقت الذي أعطوه لدراسة الطبيعة لاقتنعوا بأنّ لله كتابين: الكون والوحي، وإنّه لا غنى للإنسان بأحدهما عن الآخر، فمن كتاب الكون يعلم ملكوت الله، ويؤمن به، ومن كتاب الوحي يعلم شريعة الله التي تنير له طريق الحياة ومدارج التقدم فيها، وتجنبه المهالك والمشاكل التي تعرقل سيره إلى الأمام.

لقد خلق الإنسان ليعمل في هذه الحياة، ولا بدّ لكلِّ عامل من منهج يسير عليه في عمله؛ لأنّ الفوضى لا تؤدي إلى خير، والله سبحانه خلق الإنسان، ويعلم سره وجهره، وقوته وضعفه، وما ينفعه ويضره، فيتحتم، والحال هذه، أن يكون هو المرجع الأول للمنهج الذي يجب أن يسير عليه في عمله، تمامًا كما هو الشأن في مخترع السيارة والطائرة وغيرهما من الأدوات والآلات، حيث يحتم الرجوع إليه في استعمالها وطريق الاستفادة منها، لأنّه أعلم بما يصلحها ويفسدها، وليس من شك أنّ تبليغ المنهج الإلهي لعباده واعلامهم به ينحصر بالأنبياء والرسل، لأنّهم لسان الله وبيانه، وهذا هو الوحي بالذات. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا: الإسلام والعقل، قسم النبوة والعقل.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّـذِي بَـيْـنَ يَـدَيْـهِ ﴾ [الأنـعـام: ٩٢].

هذا، إشارة إلى القرآن الكريم، والمعنى كما أنزلنا الـتـوراة على موسى كذلك أنزلنا هذا القرآن على محمدﷺ، وهو كثير النفع والفائدة لمن علم أحكامه وأسراره، وعمل بها، وهو أيضا يصدق الكتب السماوية التي نزلت من قبل على أنبياء الله. قـال الإمـام عليعليه السلام: **تعلموا القرآن، فإنّه أحسن الحديث،**

وتفقهوا فيه، فإنّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره، فإنّه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته، فإنّه أحسن القصص. ﴿ ولِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى ومَنْ حَوْلَها ﴾. وأمُّ القرى هي مكة، وسميت بذلك، لأنّ فيها أول بيت وضع للناس لعبادة الله..

وزعم بعض المستشرقين، ومن قبلهم اليهود أنّ محمدًا صلى الله عليه وآله أرسل للعرب فقط، واحتجوا بهذه الآية، وتجاهلوا الآية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. والآية ٢٨ سبأ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ: ٢٨]. ومصدر القرآن واحد، وكلامه يفسر بعضه بعضًا، وهاتان الآيتان بيان لقوله تعالى: ﴿ ولِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى ومَنْ حَوْلَها ﴾ وان المراد به أن تبدأ دعوة الإسلام أول ما تبدأ في بلد صاحبها مكة، حتى إذا صار لها أتباع وأنصار بشروا بها في أرجاء العالم، كأية دعوة عامة تبتدئ، حيث تولد، ثم تنطلق إلى سائر الأقطار. هذا، إلى أنّه قد ثبت بطريق التواتر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كتب إلى جميع الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، وفي طليعتهم كسرى ملك الفرس، وقيصر إمبراطور الروم، والمستشرقون يعلمون ذلك، ولكن البعض منهم يكتمون ما يعلمون. ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾. الضمير في « بِهِ » يعود إلى القرآن..

وما قرأ القرآن أحد بتجرد وإمعان إلّا خرج منه بشيء، فإن كان مؤمناً بالله ورسوله واليوم الآخر ازداد ايماناً، وإن كان مؤمناً بالله فقط آمن بالوحي والبعث، وان كان مؤمناً بالله والبعث دون الوحي آمن بالأنبياء والكتب المنزلة من السماء، بخاصة نبوة محمّد والقرآن، وإن كان كافراً بالله آمن به؛ لأنّ القرآن يعرض الدلائل على ذلك، ويحث على النظر فيها، وهي بطبعها تؤدي بالباحث المنصف إلى العلم والإيمان ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾. ليكونوا على صلة دائمة وثيقة بالله.. وخص الصلاة بالذكر، دون العبادات لأنّها عمود الدين، وقوام الإيمان، ومن شأنها أن تردع المصلي الخاشع عن الفحشاء والمنكر.

[تفسير الكاشف]

أوراق علمية

سبب كثرة روايات الفروع عن الصادقين عليهما السلام

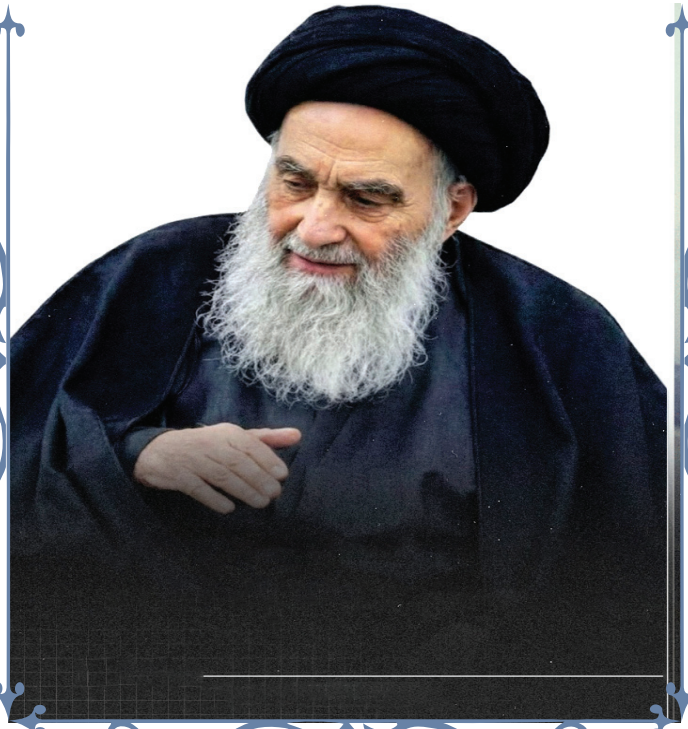

تقرير بحث السيّد السيستانيّ
بقلم السيّد محمّد علي الربانيّ

إنّ أكثر رواياتنا في الفروع عن الإمامين الهمامين الباقر والصادق عليهما السلام، والسبب في ذلك أمران:

الأمر الأول: أنَّ عمر بن عبد العزيز قد أذن بتدوين الحديث ونقله بعدما كان ممنوعاً، فإنّه وإن لم يُوفَّق لما أراد من تدوين كتاب حديث بإشرافه وتحت رقابة من الذين عيّنهم، إلَّا أنَّ هذا الترخيص صار سبباً في أن لا يكون تدوين الحديث ونقله من المحرّمات الشديدة، كما كان قبل هذا الدور؛ وإن كانت

رواسب الدور السابق ونهيهم عن تدوين الحديث واستناد النهي إلى النبي صلى الله عليه وآله لا تزول بسرعة... هذا مضافاً إلى ما تقدَّم أيضاً من أنَّ خلافة الأمويين كانت متزلزلة في زمن عمر بن عبد العزيز، وما أراده من الإصلاح لم يزدهم إلَّا ضعفاً، ولم تتيسّر لهم الرقابة الشديدة على تدوين الحديث ونقله، وذلك للاضطرابات السياسية التي حصلت واشتغالهم بأمر الدولة.

الأمر الثاني: كثرة مراجعة الناس لهما عليهما السلام، كما يدلُّ على ذلك ما في ترجمة حسن بن علي الوشاء حيث قال: (لو علمت أنَّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنِّي أدركت في هذا المسجد -أي مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد).

وذكر ابن عقدة في رجاله أنَّ رواة أحاديث الإمام الصادق عليه السلام أربعة آلاف، واستدرك عليه ابن نوح -أستاذ النجاشي- ما فاته من رواة أحاديثه عليه السلام.

ولا يختصّ الشيعة بالرواية عليهما السلام، فقد روى عنهما كثير من العامة أيضاً، ففي تهذيب التهذيب: (روى عنه - أيْ: عن الإمام الباقر عليه السلام - ابنه جعفر وإسحاق السبيعي والأعرج والزهري وعمرو بن دينار وأبو جهضم موسى بن سالم والقاسم بن الفضل والأوزاعي وابن جريج والأعمش وشيبة ابن نصاح وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وعبد الله بن عطاء وبسام الصيرفي وحرب بن سريج وحجاج بن أرطأة ومحمد بن سوقة ومكحول بن راشد ومعمر بن يحيى بن بسام وآخرون).

وأمّا بالنسبة إلى الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام فقد قال: (وعنه - أيْ: عن الصادق عليه السلام - شعبة والسفيانان ومالك وابن جريج وأبو حنيفة وابنه موسى ووهيب بن خالد والقطان وأبو عاصم وخلق كثير، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وهو من أقرانه ويزيد بن الهاد ومات قبله).

[تدوين الحديث]

نسبة

(المسائل الصاغانية)

للشيخ المفيد

السيّد محمّد رضا السيستانيّ

ذكر السيّد الأستاذ[1] في بعض كلماته بشأن المسائل الصاغانية المنسوبة إلى الشيخ المفيد: «أنَّ نسبة هذا الكتاب إلى المفيد غير معلومة، بل فيه أمارات تدلُّ على أنَّه موضوع عليه. والشيخ المفيد وإن كان له المسائل الصاغانية إلَّا أنَّ الكلام في انطباقه على هذا المطبوع».

أقول: لا أدري ما عناه بأمارات الوضع في هذا الكتاب، فقد تصفحته ولم أرَ فيه ما ينافي منهج الشيخ المفيد وكلماته الأخرى في سائر كتبه الواصلة إلينا، بل بينهما تمام الانسجام.

وأمّا قوله: «إنّ نسبة هذا الكتاب إلى المفيد غير معلومة»، فيبدو أنَّ منشأه عدم وصول نسخة من هذا الكتاب إلى صاحب الوسائل، حيث لم يذكره في عداد ما رواه من كتب المفيد في خاتمة الوسائل ولم ينقل عنه في ثناياه، وإلَّا لما شكّك في نسبته إلى المفيد، كما نجد أنَّه قد اعتمد على ما يسمّى بكتاب علي بن جعفر؛ لأنّ صاحب الوسائل وصلت إليه نسخة منه وروى عنه في الوسائل وذكر طريقه إليه في الخاتمة.

ولكن قد تقدّم غير مرّة أنَّ الكتب التي وصلت نسخها

(١) معجم رجال الحديث ج:١٤ ص:٣٢ ط: نجف (بتصرُّف يسير).

إلى المتأخرين على سبيل الوجادة إنّما يمكن الاعتماد عليها لو تيسر استحصال الاطمئنان بصحة انتسابها إلى مؤلِّفيها، وأمّا الطرق المنتزعة من الفهارس والإجازات فوجودها وعدمها سواء.

والمسائل الصاغانية للمفيدقدس سره قد ذكرها النجاشي والشيخ بهذا العنوان في عداد مؤلَّفاته من دون الإشارة إلى موضوعها، ولكن يوجد في المطبوع من كتاب معالم العلماء عبارة بعد ذكر المسائل الصاغانية بأقل من سطرين هكذا: (الشيخ الضال فيه جوابات عشر مسائل)، وقد ظنّ البعض أنَّ هذا كتاب آخر للشيخ المفيد، ولكن الظاهر أنَّ هذه العبارة كانت في الأصل قد وردت بعد ذكر المسائل الصاغانية هكذا: (في ردِّ الشيخ الضال..) إلَّا أنّها كتبت في بعض النسخ في الهامش، وقد اشتبه من استنسخ منها في ربطها بمحلها ـ ومثله يحصل أحياناً كما لا يخفى على الممارس ـ والشاهد على ذلك أنَّ رسالة المسائل الصاغانية المتداولة تشتمل على جوابات عشر مسائل في ردِّ مَن يعبِّر عنه بالشيخ الضّال، ومن المستبعد جدًّا أن يكون للشيخ المفيدقدس سره كتاب بعنوان (الشيخ الضّال)، بل المظنون قوياً كون العبارة المذكورة قد ذكرت للإشارة إلى مضمون تلك الرسالة، وعلى ذلك فهي تصلح قرينة على كون ما وصل إلينا هو المسائل الصاغانية التي اطلع عليها الشيخ ابن شهراشوبقدس سره.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه توجد في مكتبة السيد المرعشي (طاب ثراه) في قم المقدسة نسخة من هذه المسائل في ضمن مجلّد كلِّه من مؤلّفات الشيخ المفيدقدس سره، والنسخة قديمة جداً لعلّها من مخطوطات القرن السابع أو قبله كما يقتضيه رسم الخط الذي كتبت به، وهذا شاهد آخر على صحة نسبة الرسالة الواصلة إلينا وكونها للشيخ المفيدقدس سره.

والحاصل: أنَّه لا يبعد حصول الاطمئنان بما ذكر من خلال الشاهدين المتقدمين، بالإضافة إلى ملائمة مضمون الكتاب مع سائر كلمات الشيخ المفيدقدس سره ومنهجه في الرّدِّ على المخالفين، فليتدبّر.

[قبسات من علم الرجال]

مدرسة الكوفة
من أهم مدارس الفقه

السيد علي الطباطبائي

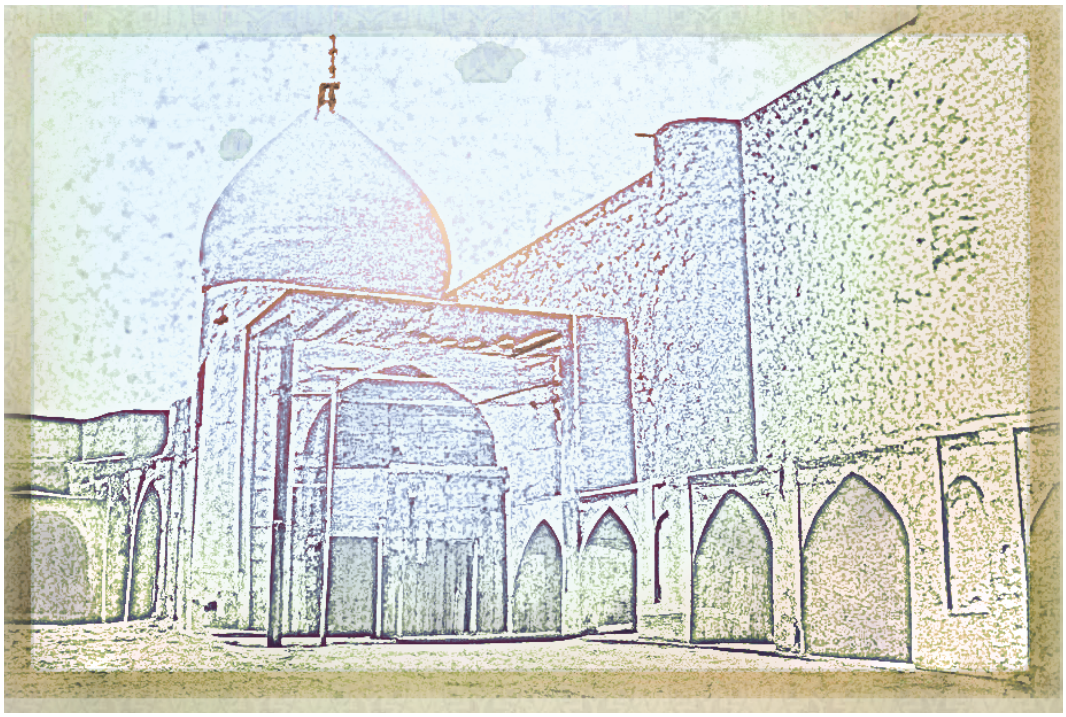

في أخريات حياة الإمام الصادق عليه السلام انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة، وبذلك بدأ الفقه مرحلة جديدة من حياته في الكوفة.

وكانت الكوفة حين ذاك مركزا علميا وتجاريًا وسياسيًا معروفًا في العالم الإسلامي، يقصده طلاب العلم والمال والسياسة من أطراف العالم.

يقول البلاذري: إنّ أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة.

وقد أثر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلبًا للعلم أو التجارة في التلاقح العقلي والذهني في هذه المدرسة، كما كان لها الأثر البالغ في تطوير الدراسات العقلية فيها.

وقد هاجر إليها فوق ذلك وفود من الصحابة والتابعين والفقهاء وأعيان المسلمين من مختلف الأمصار، وبذلك كانت الكوفة حين انتقل إليها الإمام الصادق عليه السلام وانتقلت إليها مدرسة الفقه الشيعي من أكبر العواصم الإسلامية.

وقد عدّ البراقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابيًا من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها، ما عدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الأسر العلمية التي كانت تسكن هذا القطر.

وقد أورد ابن سعد في الطبقات ترجمة لـ(٨٥٠) تابعيًا ممن سكن الكوفة.

في مثل هذا الوقت انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح، واستمر. بقاء الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة مدة سنتين.

وقد اشتغل الإمام الصادق عليه السلام هذه الفترة بالخصوص في نشر مذهب أهل البيت في الأصولين والفقه لعدم وجود معارضة سياسية قوية في البين، فقد سقطت في هذه الفترة الحكومة الأموية وظهرت الحكومة العباسية، وبين هذا السقوط وهذا الظهور اغتنم الإمام الصادق عليه السلام الفرصة للدعوة إلى المذهب، ونشر أصول هذه المدرسة، فازدلفت إليه الشيعة من كلِّ فج زرافات ووحدانًا تستقي منه العلم وترتوي من منهله العذب وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم، وكان منزله عليه السلام في بني عبد القيس من الكوفة.

قال محمد بن معروف الهلالي: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد عليه السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع رآني فأدناني وتفرق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فتبعته وكنت أسمع كلامه وأنا معه أمشي.

وقال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لأبي عيسى القمي: إنِّي أدركت في هذا المسجد – يعني مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد.

[رياض المسائل]

أدلة إمامية غياث بن إبراهيم

السيّد موسى الشبيري الزنجانيّ

الدليل الأول: استخدام غياث للروايات الإمامية:

من خلال مراجعة بعض روايات غياث، يمكن إثبات إماميته. على سبيل المثال:

- غياث بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي». فقال: «أنا والحسن والحسين والأئمة

التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب اللّه ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول اللّه حوضه».

• غياث بن إبراهيم عن ثابت بن دينار عن سعد بن طريف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «يا علي، أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولن تؤتى المدينة إلّا من قبل الباب، فكذب من زعم أنّه يحبني ويبغضك لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي... وأنت إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي... مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

• غياث بن إبراهيم عن جعفر بن محمد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّد الناس ولا فخر، وعلي سيِّد المؤمنين، اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه».

• غياث بن إبراهيم عن الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «نظرت في السماوات كلّها فلما رأيتك يا علي استغفرت لك ولشيعتك إلى يوم القيامة».

الدليل الثاني: التعبير عن الإمام علي بأمير المؤمنين:

في معظم روايات غياث، يتم الإشارة إلى الإمام علي بلقب «أمير المؤمنين»، ممّا يدلُّ على أنَّ الراوي يعتبر هذا اللقب خاصًا به. هذا الاستخدام يعكس ثقافة الإمامية حيث يُعتبر «أمير المؤمنين» لقبًا خاصًا للإمام علي، وهو تعبير لا يُستخدم بنفس الطريقة عند العامة.

الدليل الثالث: توثيق غياث من قبل النجاشي:

النجاشي وصف غياث بأنّه «ثقة». والثقة تعني أنَّ الراوي موثوق به من حيث جوانب الاعتبار الروائي، ومن ضمنها المذهب. لذا، إذا كان الراوي ثقة، فهذا يعني أنَّه موثوق به قولاً ومذهباً. ومن غير المحتمل أن يكون مذهب غياث غير معروف للنجاشي أو الشيخ.

الدليل الرابع: اعتماد الكليني على غياث:

الكليني أورد روايات غياث في كتاب الكافي دون ذكر الروايات

المعارضة له من العامة. هذا يشير إلى أنَّه كان يعتقد أنَّ غياث إمامي. الكليني كان يختار الروايات التي تتفق مع فتاواه، لذا فإنّ اعتماده على غياث يدلّ على إماميته.

الدليل الخامس: رواية ابن أبي عمير عن غياث:

غياث مروي عنه من قبل ابن أبي عمير، وجميع من نقل عنهم ابن أبي عمير موثوقون حسب شهادة الشيخ الطوسي. وهذا يعني أنَّ غياث يُعتبر ثقة بشكل عام.

الرأي المختار: إمامية وثقة غياث بن إبراهيم:

بالنظر إلى الأدلـة المقدّمة، يمكن القول بأنّ غياث بن إبراهيم إمامي وثقة. الأدلة من الثالث إلى الخامس تدعم أيضًا وثاقته. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ كتاب غياث قد رواه عدد من علماء الإمامية مثل الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والشيخ الطوسي، ولم يذكروا أيَّ رواية ترفض وجود غياث في السند.

[كتاب النكاح]

الحاجة إلى علم الرجال

الشيخ باقر الإيرواني

هناك اختلاف بين الأعلام في أنَّ علم الرجال والرجوع إلى كلمات النجاشي والشيخ الطوسي لتمييز أنَّ هذا ثقة وذاك ضعيف هل هو قضية ضرورية يحتاج الفقيه إليها حاجة ماسة أو أنَّ ذلك قضية يمكن الاستغناء عنها؟

اختار البعض عدم الحاجة إلى علم الرجال، بل لربما مال بعض آخر إلى تحريمه بدعوى أنَّ فيه كشفاً لعورات المؤمنين، وأنّ هذا ضعيف لا يؤخذ بحديثه وذاك كذّاب.

ويمكن ربط هذا الاختلاف في الحاجة إلى علم الرجال وعدمها بالأقوال المتقدِّمة، فإذا بُني مثلاً على أنَّ الخبر إذا عمل به المشهور فهو حجة حتى ولو لم يكن رواته ثقات فلا حاجة بناء على ذلك إلى علم الرجال؛ إذ المدار على عمل المشهور وليس على وثاقة الراوي ليحتاج إلى تشخيص الوثاقة.

كما أنّ الحاجة إلى علم الرجال تضعف وإن لم تنعدم بشكل كلِّي فيما إذا بُني على كبرى انجبار ضعف السند بعمل المشهور؛ إذ بناء على هذا الرأي لا تبقى حاجة إلى البحث عن وثاقة الرواة ما دمنا

قد فرضنا عمل المشهور بالرواية، وإنّما تبقى الحاجة إلى ذلك منحصرة في حدود الخبر الذي لايعمل به المشهور.

وحيث إنَّ الصحيح عندنا حسبما تقدّم هو حجية خبر الثقة وعدم كفاية الانجبار إذا لم يبلغ إلى المستوى المورث للاطمئنان بالصدق فتكون الحاجة إلى علم الرجال ثابتة وبشكل ماسٍ.

ودعوى: أنَّ ذلك محرّم وفيه كشف لعورات المؤمنين.

مدفوعة: بأنّ ذلك ما دام لغرض أهم ـ وهو تشخيص رواية الثقة وتمييزها عن غيرها ـ فهو ممّا لا محذور فيه، كما هو الحال في باب القضاء، فإنّ جرح الشهود وبيان فسقهم أمر جائز بالاتفاق من باب توقُّف أمر أهم عليه.

عود إلى بدء ذكرنا فيما سبق الرواية التي ينقلها صاحب الوسائل بالشكل التالي: أحمد ابن محمد بن خالد البرقي في المحاسن عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام...».

وإذا أردنا التعرّف على أنَّ سند الرواية المذكورة معتبر أو لا فعلينا ملاحظة أمرين:

أ ـ ملاحظة السند بين البرقي والإمام عليه السلام، فإذا ثبت وثاقة جميع أفراد السند فلا مشكلة من هذه الناحية.

أمّا كيف نثبت وثاقة أفراد السند المذكور؟ يمكن ذلك من خلال تطبيق أحد طرق إثبات الوثاقة التي سنشير إليها بعد قليل.

ب ـ ملاحظة السند بين الحر العاملي والبرقي فإنّهما ليسا متعاصرين، بل يوجد فاصل زمني كبير بينهما، فإذا ثبتت وثاقة جميع أفراد السند المذكور فلا مشكلة من هذه الناحية أيضاً.

أمّا كيف نعرف سندَ الحر إلى البرقي أو بتعبير آخر كيف نعرف أسماء الرواة الذين يروي عنهم الحر كتاب البرقي؟

يمكن ذلك بالبيان التالي: أنَّ للشيخ الطوسي طريقاً إلى كتاب محاسن البرقي أشار له في كتابه الفهرست في ترجمة أحمد بن محمد بن خالد البرقي.

وصاحب الوسائل له طرق إلى جميع الكتب التي رواها الشيخ الطوسي، وقد سجّل تلك الطرق في آخر الوسائل.

فإذا ضممنا هذا إلى ذاك فسوف

يثبت لنا طريق للحر إلى البرقي.

وقد ذكر تَتَتُّبُ أربع طرق يكفينا صحة واحد منها وهو: «الشيخ أبو عبد الله والحسين بن عبيد الله وأحمد بن عبدون كلُّهم عن أبي محمد الحسن بن حمزة العلوي وأبي جعفر محمد بن الحسين البزوفري جميعاً عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد بن يحيى».

أمّا الشيخ أبو عبد الله فهو الشيخ المفيد، وتكفينا وثاقته عن البحث عن وثاقة الحسين وأحمد.

وأمّا الحسن بن حمزة العلوي فهو المعروف بالمرعش أو المرعشي من أجلّاء هذه الطائفة وفقهائها على ما ذكر النجاشي [1].

وأمّا البزوفري فلم يذكره الشيخ ولا النجاشي [2] ولم تثبت وثاقته، ولكن ذلك لا يضر بعد وثاقة الحسن بن حمزة.

وأمّا أحمد بن إدريس فقد تقدّم أنَّه أبو علي الأشعري الثقة الجليل شيخ الكليني.

وأمّا محمّد بن أحمد بن يحيى فهو ثقة في الحديث على ما ذكر النجاشي.

[دروس تمهيدية في القواعد الرجالية]

(١) معجم رجال الحديث ٤: ٣١٣.

(٢) المصدر السابق ١٥: ٢٩٠.

أوَّل مَن صنّف الفقه

السيد علي الطباطبائي

كان أمير المؤمنين عليه السلام أوّل مَن صنّف في الفقه، ودون الحديث النبوي، ولم يوافق عمر بن الخطاب على رأيه.

قال السيوطي: كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحتها طائفة وفعلوها: منهم: علي وابنه الحسن[1].

فكتب «الجامعة» وهي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ علي عليه السلام، وكان يبلغ سبعين ذراعًا، وقد تواتر نقله في أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام[2].

وكان لسلمان مدونة في الحديث كما يقول ابن شهرآشوب.

وعلي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كان من فقهاء الشيعة وخواص أمير المؤمنين عليه السلام.

قال النجاشي: وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتابًا في فنون الفقه كالوضوء والصلاة وسائر الأبواب، وكانوا يعظمون هذا الكتاب[3].

ومنهم: سعيد بن المسيب، وهو أحد الفقهاء الستة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

قال أبو أيوب: ما رأيت أفضل منه.

وفي كتاب الكافي عن يحيى بن جرير قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام**[4].

ومهما يكن من أمر فقد كان فقهاء الشيعة وعلى رأسهم أئمة المسلمين من أهل البيت صلوات الله عليهم يقودون الحركة الفكرية في العالم الاسلامي، وتنطلق هذه الحركة من المدينة المنورة بشكل خاص.

[رياض المسائل]

(١) أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٧٤.
(٢) راجع تفصيل ذلك في أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٩٠.
(٣) رجال النجاشي: ص ٥.
(٤) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ٢٩٩.

أوراق تاريخية

فارقتك شيخاً وجئتك أمرد

السيّد محمّد تقي الحكيم

في الربذة أو ذي قار – على اختلاف في الرواية – جاءهم عثمان بن حنيف وهو أمرد، وكان والياً من قبل الإمام عليه السلام على البصرة، فلما رأى الإمام عليه السلام: بكى وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد. فقال الإمام عليه السلام: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون.**[1] ومأساة عثمان هذا، وموقف طلحة والزبير وعائشة منه يرويها صاحبنا مفصّلاً، ويرويها غيره من الرواة، وهي تصوِّر كيف تطغى شهوة الحكم في بعض النفوس على جميع ما تملكه من قيم، فتنسيها حتى أبسط مبادئ اللياقة.

وملخص هذه القصة: أنَّ عثمان هذا لم

(١) انظر تأريخ الطبري ج٥: ١٨٦، أنظر تأريخ ابن خلدون ج٢: ٤١٤.

يشأ أن يبادئ القوم بحرب، رغم اجتماع أكثريّة البصرة عليه، وبيده القول والمال، ورغم إشارة جماعة من زعمائها عليه بذلك، إلّا أنَّ خُلقه كان يأبى عليه ذلك، شأن تلاميذ الإمام عليه السلام، ولأنّه كان ينتظر أمر إمامه بهم، بعد أن راسله في ذلك.

وقد حاولوا أن يدخلوا البصرة بالرغم عليه، فمنعهم ودارت بينهم معارك أنتهت في غير صالحهم[1] وهم يتذرعون بالطلب بدم عثمان، وكان فيمن جاءهم عاذلاً لهم عبد الله بن حكيم التميمي، ومعه كتب كان طلحة والزبير كتباها إليه فقال لطلحة: ((يا أبا محمد أما هذه أكتبك إلينا؟ قال: بلى قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه! فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدنيا».[2]

وكان آخر ما انتهى إليه الفريقان المتحاربان بعد معركة دامية هو التصالح بشروط سجّلوها بهذا الكتاب: «هذا ما أصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين، من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما، أنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وأنّ لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة، ولا يضارُّ بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبُّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمّة وإن أحبُّوا لحق كلُّ قوم بهواهم وما أحبُّوا من قتال أو سلم، أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدُّ ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمّة»[3].

وكان تقيُّد الشيخين بما جاء فيه من عهود لا يختلف عن تقيُّدهما بما أعطياه للإمام عليه السلام في أثناء بيعته وبعد بيعته..

يقول المحدِّث: «فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فانتهوا

(١) انظر شرح نهج البلاغة ج٢: ٥٠٠.
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر السابق، وانظر تأريخ الطبري ج٥: ١٧٧.

إلى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه.. وأقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان ليصلي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير، وقدّموا الزبير، فجاءت السبابجة – وهم الشرط حرس بيت المال – فأخرجوا الزبير وقدّموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموا الزبير وأخّروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس!! فغلب الزبير فصّلى بالناس، فلما انصرف من صلاته صاح بأصحابه المسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو مروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أُسر ضُرب ضرب الموت ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكلُّ شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله، فنادى عثمان: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقى منكم أحداً. فكفُّوا عنه»[1]، ثم عمدوا إلى السبابجة فذبحوهم جميعاً كما يذبح الغنم، وضمُّوا بذلك إلى نكث البيعة نقض العهد وسفك الدماء، وهكذا أنهت مأساة هذا العبد الصالح الذي ذهب إلى البصرة شيخاً – كما يقول – فعاد منها وهو أمرد.

[عبد الله بن عباس حياته وسيرته]

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٥٠٠.

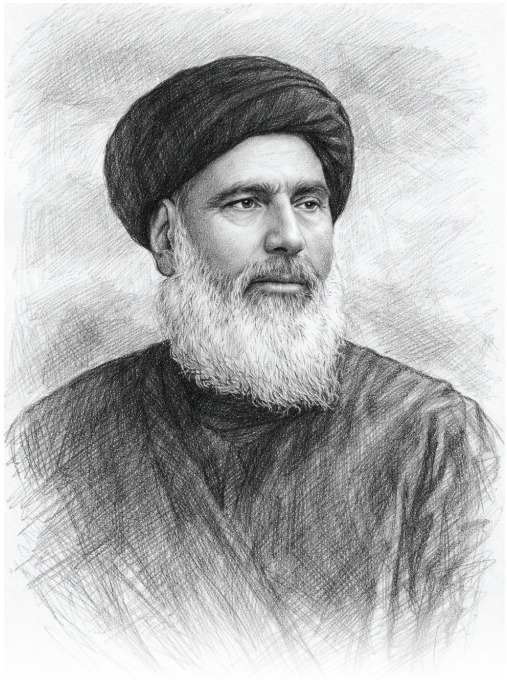

من مؤلّفي الشيعة

زرارة وإخوته

السيّد عبد الحسين شرف الدين

زرارة بن أعين:

أبو الحسن [١] زرارة بن أعين بن سنسن [٢] واسمه عبد ربه، لكن غلب عليه اللقب، أمره أشهر من نار على علم، وفضله لا يحيط به لسان أو قلم، صحب الباقرين عليهما السلام فكان له عندهما جاه عظيم ومنزلة رفيعة.

وحسبك أنّه أحد الأربعة الذين قال فيهم الصادق عليه السلام: «إنّهم أمناء اللّه على حلاله وحرامه». وقال: «لولاهم لانقطعت آثار النبوة واندرست». وقال عليه السلام: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلّا زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلال اللّه وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة».

(١) ويكنى أبا علي أيضاً.

(٢) كان أعين بن سنسن غلامًا روميًا اشتراه رجل من بني شيبان فرباه و تبناه وأحسن تأديبه، فحفظ القرآن وعرف الأدب فخرج أديبًا بارعًا فأعتقه وقال له: استلحقك، فأبى، وذريته مباركة ميمونة طيبة طاهرة كلُّها من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، وكان أبوه سنسن نصرانياً راهباً، وقيل: إنّه من غسّان دخل بلد الروم وكان يدخل بلاد الإسلام بأمان ابنه أعين ويرجع إلى بلاده.

وقال عليه السلام: «بشِّر المخبتين بالجنة- ثمَّ ذكر الأربعة».

وقال من حديث طويل ذكر فيه الأربعة: «كان أبي ائتمنهم على حلال اللّه وحرامه، وكانوا عيبة[1] علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سري وأصحاب أبي حقًّا، إذا أراد اللّه بأهل الأرض سوء صرفه بهم، هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتاً، بهم يكشف اللّه كلّ بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين»- الحديث.

وقال عليه السلام: «زرارة بن أعين وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد من الذين قال اللّه تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]».

وقال عليه السلام: «أحبُّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً أربعة»- ثم ذكرهم...

إلى غير ذلك من الأحاديث التي لهم من الفضل والشرف والمنزلة والرفعة والكرامة والولاية ما لا تسعه عبارة، وهنيئاً لمن نال من أئمة الهدى بعض ذلك.

وبالجملة فإنَّ زرارة كما قال فيه الصادق عليه السلام هو أوضح[3] من أن يحتاج إلى إيضاح.

وقال- صلوات الله عليه-: «رحم اللّه زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي».

وفي حديث آخر: «لولا زرارة لظننت أنَّ أحاديث أبي عليه السلام ستذهب».

وعنه عليه السلام من حديث طويل: «أمّا ما رواه زرارة عن أبي فلا يجوز لي ردُّه».

وقال عليه السلام للفيض بن المختار: «فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس- وأومأ إلى زرارة بن أعين».

وقال الرضا عليه السلام: «أترى أحداً أصدع بحقٍّ من زرارة؟!»

وكان أعداء أهل البيت والمخالفون لهم يتربّصون به الدوائر لمحبة الصادق ويقلبون له الأمور، فلم يرَ الصادق وسيلة إلى حفظ دم زرارة ووقاية ماله وعرضه غير مذمته والتكلُّم عليه، فبلغ ذلك زرارة فوجه إليه ولده الحسين فقال له: إنّ أبي يقرأ عليك السّلام ويقول لك: جعلني الله فداك أنَّه لا يزال الرجل والرجلان يقدمان فيذكران أنّك ذكرتني وقلت فيّ. فقال عليه السلام: «أقرئ أباك السّلام وقل له: أنا واللّه أحبّ لك الخير في الدنيا وأحبّ لك الخير في الآخرة،

(١) العيبة زبيل من أدم و نحوه وما يجعل فيه الثياب، ومن الرجل موضع سره- قاموس.

(٢) سورة الواقعة: آية ١٠- ١١.

(٣) هنا حديث رواه الحسن بن داود في رجاله عند ذكر زرارة.

وأنا واللّه عنك راضٍ، فما تُبالي ما قال الناس بعدها».

وقال عليه السلام لعبد الله بن زرارة: «اقرأ منّي على والدك السّلام وقل له: إنّي أنا أُعيبك دفاعاً منّي عنك، فإنّ الناس والعدو يسارعون إلى كلّ مَن قرّبناه وحمدنا مكانه، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كلّ مَن عبناه، وأنا أعيبك لأنّك رجل اشتهرت بنا، فكنت بذلك غير محمود الأثر عند الناس، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك، ويكون ذلك دافع شرهم عنك، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1]، فافهم المثل يرحمك الله، فإنّك واللّه أحبُّ الناس إليّ وأحبُّ أصحاب أبي إليّ حياً وميتاً وإنّك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، وإنّ وراءك لملكاً ظلوماً غصوباً يرغب عبور كلّ سفينة صالحة من بحر الهدى ليأخذها غصباً، فرحمة الله عليكَ حياً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً، ولقد أدّى إليّ ابناك الحسن والحسين رسالتك، أحاطهما وكلأهما ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين»- الحديث.

«وناهيك به شرفاً وفضلاً لزرارة وولديه الحسنين، وكانا من ثقات أصحابنا وعدول سلفنا».

وله أربعة أولاد غيرهما: عبيد الله وربما سمي عبيد، وعبد الله، ورومي، ويحيى. فهؤلاء ستة أولاد كلُّهم على رأي أبيهم وهدى أهلهم، ولعبد الله وعبيد الله ورومي المذكورين كتب رواها النجاشي وغيره بالأسانيد إليهم، وصرّح أئمة الفن بأنّهم من ثقات الشيعة وأعيان محدثيهم.

حمران بن أعين:

ولزرارة عدّة أخوة: (أحدهم) حمران بن أعين النحوي اللغوي، كان من أكابر علماء الشيعة ورؤساء محدثيهم وأعيان ثقاتهم، لقي الباقرين عليهما السلام فكان من أخص الناس بهما وأقربهم إليهما، حتى قيل إنّه حواريهما، وتواتر الثناء منهما عليه.

قال الباقر عليه السلام: «أنت من شعيتنا في الدنيا والآخرة». وقال: إنّه من المؤمنين حقًّا لا يرجع أبدًا».

وكان الصادق عليه السلام يقول: «حمران بن أعين مؤمن لا يرتد واللّه

(١) سورة الكهف: آية ٧٩.

أبدا».

وجرى ذكره بعد موته فقال الصادق عليه السلام: «مات واللّه مؤمناً».

«وكان من المتبحِّرين في علوم القرآن متضلعاً في سائر الفنون فقيهاً زاهداً عابداً، في أقصى غاية من الورع والنسك».

وله ثلاثة أولاد كانوا على رأيه وهداه: عقبة، وحمزة، ومحمد. ولكلٍّ من حمزة ومحمد روايات عن الصادق وغيره، ولكلٍّ منهما كتاب رواه أصحابنا بالإسناد إليهما، وكانا ثقتين.

بكير بن أعين:

(الثاني) من أخوة زرارة «بكير بن أعين» عدّه أصحابنا في الثقات من رجالهم، روى عن الصادق ومات في أيامه عليه السلام فقال فيه بعد موته على ما روي عنه: «لقد أنزله اللّه بين رسوله وأمير المؤمنين. وعنه: «رحم اللّه بكيراً، وقد واللّه فعل».

ولبكير خمسة أولاد: عبد الحميد، والجهم، وعبد الأعلى وعمر. ولعبد الحميد ثلاثة أولاد: محمد، وعلي، والحسن[1]، وللجهم بن بكير ولد اسمه الحسن من ثقات أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام له كتاب. ولعبد الله بن بكير ولد اسمه الحسين أيضاً، والكلُّ من رجال الشيعة، بيد أنَّ عبد الله ابن بكير فطحي لكنه ثقة، وهو ممّن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه، وله كتاب يرويه أصحابنا بالإسناد إليه.

عبد الملك بن أعين:

(الثالث) من أخوة زرارة «عبد الملك بن أعين» و يكنى أبا الضريس، كان مخلصاً في ولاية أهل البيت، من أعيان الشيعة توفي في أيام الصادق فرفع يده الشريفة ودعا له واجتهد في الدعاء وترحم عليه. وفي بعض الأخبار أنَّه قال عند ما بلغه موته: «اللّهمّ إنّ أبا الضريس كنّا عنده خيرتك من خلقك، فصيِّره في ثقل محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة».

ولعبد الملك بن أعين ولدان: أحدهما الضريس، وكان عالماً فاضلاً صالحاً ثقةً،

(١) وللحسن هذا ولد اسمه سليمان من أجلّ أصحاب الهادي عليه السلام، وكان مرجعًا للشيعة، وله ولد اسمه محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم كان من ثقات أصحاب العسكري وله كتب عديدة منها: كتاب الآداب والمواعظ، وكتاب الدعاء وكتاب المسائل التي سألها الإمام العسكري عليه السلام وأجوبتها منه عليه السلام، توفي محمد المذكور سنة ٣٠١ ه. وكانت ولادته سنة ٢٣٧.

روى عنه جماعة من الفضلاء، وكان زوجاً لابنة عمّه حمران. والثاني حسن، ولحسن هذا ولد اسمه علي، والكلُّ من خيرة أصحابنا.

عبد الرحمن بن أعين:

(الرابع) من أخوة زرارة «عبد الرحمن بن أعين» كان من ثقات أصحاب الباقرين، له كتاب رواه النجاشي وغيره بالإسناد إليه.

وهؤلاء الأربعة من أخوة زرارة كبراء معروفون، وله أخوة سواهم غير مشهورين.

قال ابن فضّال فيما رواه أبو علي عنه: خلّف أعين بن سنسن حمران وزرارة وبكيرًا وعبد الملك وعبد الرحمن وملك وموسى وضريس ومليك وقعنب، فذلك عشرة أنفس، وكان مليك وقعنب يذهبان مذهب أهل السنة مخالفين لإخوتهم- انتهى.

ولهم أخت يقال لها: «أمُّ الأسود بنت أعين» كانت من الصالحات المستبصرات بشأن أهل البيت عليهم السلام فلله أعين ما أبرك نسله وأنفعهم للمسلمين.

والآن نرجع إلى تمام القول في زرارة فنقول:

كان قارئاً صيتاً إماماً في التفسير والعلوم العربية وغيرها، فصيحاً أديباً شاعراً جامعاً لخلال الفضل والدين، صاحب حجة قاطعة وبرهان لا يرد، بحيث لا يقوم أحد بحجته ولا يجرأ على مناظرته، ومتكلمو الشيعة تلامذته لكنه اشغلته العبادة عن الكلام، وكان وسيماً جسيماً ذا حلم راسخ وحكمة بالغة وسكينة ووقار، وكان يخرج إلى الجمعة وعليه برنس أسود، وبين عينيه سجادة، وفي يده الشريفة عصا، فيقوم له الناس سماطين ينظرون إليه لحسن هيئته وبهاء منظره.وله مصنّفات منها كتاب الاستطاعة والجبر. توفّي سنة ١٥٠هـ.

[مؤلّفو الشيعة من صدر الإسلام]

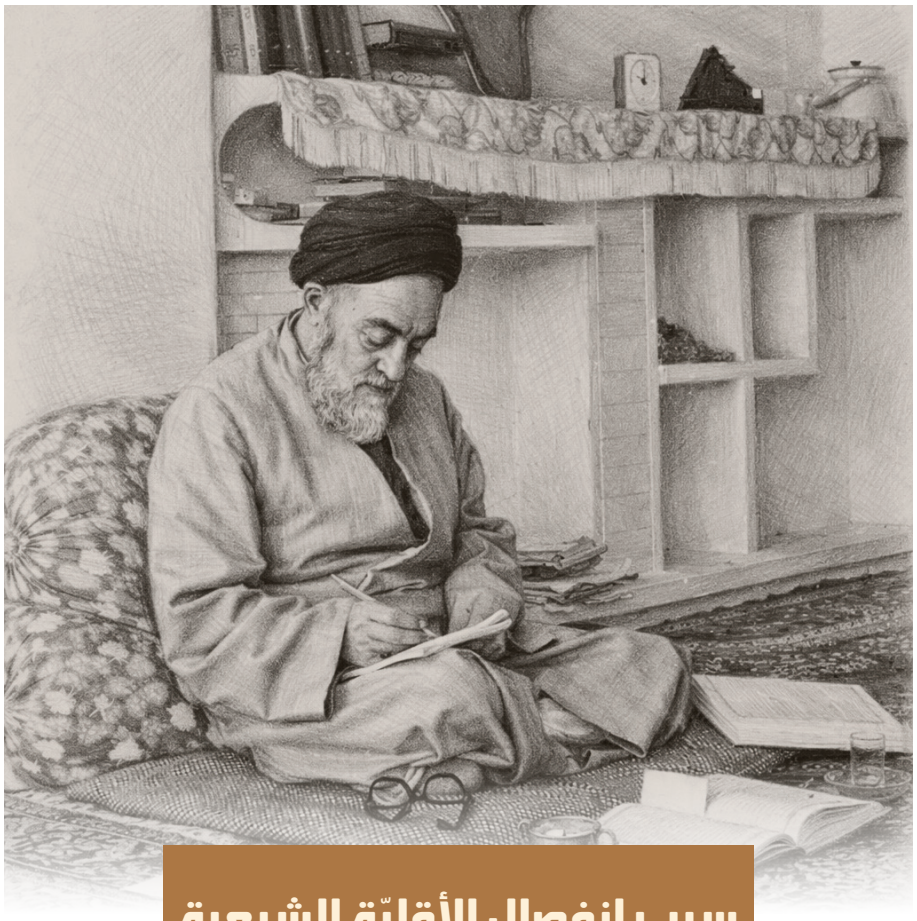

سبب انفصال الأقليّة الشيعية عن أكثرية السّنة

العلاّمة الطباطبائي

كان شيعة علي عليه السلام وأصحابه يعتقدون اعتقاداً راسخاً أنَّ الخلافة ستكون لعلي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وذلك لما كان يتسم به عليه السلام من مقام ومنزلة لدى الرسول صلى الله عليه وآله والصحابة والمسلمين، وظواهر الأمور والحوادث تؤيد ذلك، باستثناء ما حدث في أيام مرضه الأخير عليه السلام.

ولكن الذي حدث هو غير ما كانوا يتوقعونه، ففي الوقت الذي التحق النبي صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، ولم يغسل جسده الطاهر، ولم يدفن بعد، وحينما كان أهل البيت وعدد من الصحابة منصرفين إلى العزاء، وإجراء المقدمات اللازمة له، إذ وصلهم نبأ انصراف جماعة قليلة لتعيين

الخليفة بعد الرسول عليه السلام، وهذه القلّة التي غلبت الكثرة، قد بادرت بهذا الأمر عجالة، دون استشارة أهل البيت، وأقرباء النبي عليه السلام وعشيرته وصحابته الذين وجدوا أنفسهم أمام أمر واقع، وبعد أن فرغ الإمام علي عليه السلام، ومن معه من الصحابة (كابن عباس والزبير وسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار) من دفن النبي عليه السلام أعلموا بالذي حدث، فرفعوا علم المعارضة، وانتقدوا القائمين بهذا الأمر، وأبدوا اعتراضهم للخلافة الانتخابية، بإقامتهم جلسات متعدِّدة، والجواب الذي سمعوه هو أنَّ صلاح المسلمين كان في الذي حدث.

فهذا الانتقاد والاعتراض أدّى إلى انفصال الأقلية عن الأكثريّة، واشتهر أصحاب الإمام علي عليه السلام باسم «شيعة علي»! فالقائمون بأمور الخلافة، كانوا يسعون- وفقا للسياسة آنذاك- ألّا يشتهر هؤلاء الأقلية بهذا الاسم، وألّا ينقسم المجتمع إلى أقلية وأكثرية، فكانوا يعتبرون الخلافة إجماعاً، ويطلق على المعارض لها، متخلِّفاً عن البيعة، ومتخلِّفاً عن جماعة المسلمين، وأحياناً كان يوصف بصفات بذيئة أخرى.

وفي الحقيقة، أنَّ الشيعة قد حكم عليها بالتخلُّف عن الجماعة منذ الأيام الأولى، ولم تستطع أن تكسب شيئاً منذ أن أبدت معارضتها، والإمام علي عليه السلام لم يعلنها ثورة وحرباً، رعاية لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولفقدانه للأنصار بالقدر المطلوب، إلَّا أنَّ هؤلاء المعارضين لم يستسلموا للأكثرية من حيث العقيدة، وكانوا يرون أنَّ الخلافة والمرجعية العلمية هي حقٌّ مطلق للإمام علي عليه السلام فكان رجوعهم في القضايا العلمية والمعنوية إليه وحده، وكانوا يدعون إلى هذا الأمر.

[كتاب الشيعة]

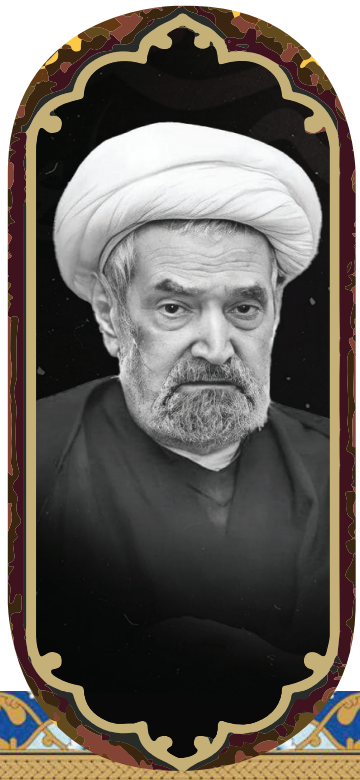

براءة الشيعة من الغلو والغلاة

الشيخ باقر شريف القرشي

والشيء المحقّق حسب الدراسات العلمية التي لا تخضع لهوى ولا تجنح لعاطفة أنَّ التشيع بمفهومه الفكري وأرصدته الروحية، والسياسية قد نشأ وترعرع وتكون حينما فجر النبي العظيم صلى الله عليه وآله دعوته الخلاقة الهادفة إلى إقامة مجتمع سليم متوازن في سلوكه واجتماعه واقتصاده تسود فيه العدالة وتعم فيه الأخوة والمحبة والأمن والرخاء، فعقد مؤتمراً ضمّ الأسر القرشية، وعرض عليهم رسالته الخالدة التي تنقذهم من واقعهم المرير، وما هم عليه من التخلف

الفكري وطلب منهم من يؤازره على إشاعة مثله ومبادئه بين الناس ليتخذه وزيرًا وخليفةً ووصيًا من بعده لتمتد تعاليمه بعد رحيله، فوجموا جميعًا وسخر بعضهم منه، فانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو في فجر الصبا وروعة الشباب فعاهده على مؤازرته ومناصرته، فاتخذه وزيرًا وخليفة من بعده، وناشرًا لأهدافه ومبادئه... وفي ذلك اليوم تأسس التشيع القائم على الولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإقرار له بالولاية والنيابة العامة عن النبي وآمنت كوكبة من أعلام الصحابة والمساهمين في بناء الإسلام بأحقّية الإمام بالخلافة، وأنّه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته على أمته من بعده، ومن بينهم الشهيد الخالد عمار بن ياسر الطيب ابن الطيب عملاق الجهاد في الإسلام كما أنّ منهم أبا ذر الغفاري الثائر العظيم الذي وعى الإسلام وناضل عن قيمه ومبادئه.

ومن أعلام الإسلام سلمان الفارسي وزير النبي صلى الله عليه وآله ومستشاره الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله **«سلمان منا أهل البيت»**، فقد كان من أبرز شيعة الإمام عليه السلام.

وقد أعلن هؤلاء الصحابة وغيرهم من حماة الإسلام دعمهم الكامل في إحداث السقيفة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ورفضهم البيعة لغيره.

وليس في ولاء هؤلاء القادة للإمام علي عليه السلام أيُّ غلو أو إفراط في الحب وإنّما ذهبوا إلى أنّه أولى بأمور المسلمين من غيره وذلك لمواهبه وعبقرياته وسائر صفاته العظيمة.

وولاء الشيعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام منذ فجر تأريخهم حتى يوم الناس هذا على غرار ولاء الصحابة لهم ليس فيه غلو أو إفراط في الحب أو خروج عن موازين الفكر فهم يعتقدون أنّهم أولى بالنبي صلى الله عليه وآله وأحقُّ بمقامه، وأولى بمركزه لا لأنّهم ذريته وألصق الناس به، وإنّما لتوفر الطاقات العلمية الهائلة عندهم وتسلحهم بالإيمان والتقوى وحريجتهم في الدين وغير ذلك من الصفات الكريمة التي لم تتوفر عند غيرهم، وسنوضح ذلك في البحوث الآتية.

إنّ عقيدة الشيعة في أئمة أهل البيت عليهم السلام نقية واضحة كالشمس لا لبس فيها ولا غموض لا تتغير لا تتبدل في جميع الأحقاب والآباد فهي ليست

حلولية ولا باطنية ولا غير ذلك من التهم الرخيصة والطعون الباطلة التي ألصقها بهم من لا حريجة له في الدين والتي كان معظمها ناشئًا من الأغراض السياسية التي جهدت على تشويه واقع الشيعة وإبعادهم عن المجتمع لئلا تتبلور أفكارهم وما ينشدونه من الإصلاح الشامل لجميع شرائح المجتمع وما يتبونه من القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض، وذلك بإشاعة العدل والأمن والرخاء بين الناس الأمر الذي يتنافى مع سياسة أولئك الملوك القائمة على البطش والاستبداد، وإنفاق أموال الدولة على شهواتهم وملاذهم، ومطامعهم السياسية.

وكانت الشيعة الجبهة المعارضة لحكام الأمويين والعباسيين، فقد نقمت عليهم تصرفاتهم المجافية لكتاب الله تعالى وسنة نبيه، وطالبتهم بالعدل والاعتدال والسير على ضوء السياسة الإسلامية التي يهتدي بها الحائر وينعم فيها ابن آدم المجهود المكدود.

وقدمت الشيعة في سبيل مبادئها المزيد من الضحايا والقرابين خالصة لوجه الله كان في طليعتهم ريحانة رسول الله ﷺ أبو الشهداء والأحرار الإمام الحسين عليه السلام، فقد ثار في وجه حفيد أبي سفيان وابن معاوية يزيد فاجر بني أمية الذي استهتر بقيم الإسلام وحاول أن يعيد الحياة الجاهلية، ويلف لواء الإسلام فاستشهد الإمام عليه السلام مع الصفوة الطاهرة من أهل بيته، وأصحابه. وقد طوى الإمام بشهادته سجل الأمويين وعرى حكامهم من الشرعية وقد سجل بشهادته نصرًا للإسلام وعزًّا للمسلمين وفخرًا للإنسانية على امتداد التاريخ، وبعده ثار أحفاده وأحفاد أخيه الإمام الزكي الحسن عليه السلام في وجه حكام الأمويين والعباسيين، لقد ثاروا من أجل تحقيق العدل السياسي والعدل الاجتماعي بين الناس.

وعلى أيِّ حال فإنّ تاريخ الشيعة حافل بالبطولات والتضحية من أجل صالح المجتمع وإنقاذه من الظلم والجور والطغيان.

ونعود للحديث عن الغلو وحقيقته الإفراط في الحب والمودة والولاء، وبه يخرج الإنسان عن حدِّ التوازن فيمن يحبه ويخلص له وقد ابتلي به البشر منذ أقدم العصور فقد أفرط المسيحيون في

ولائهم للسيد المسيح فقالوا إنّه ابن الله، وابتلى بذلك فريق من الناس في العصور الإسلامية فذهب بعض المارقين من الدين إلى إلوهية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد هالتهم مواهبه وعبقرياته، وما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب فجزموا بربوبيته، كما غالى بعض الفرق الإسلامية في أئمتهم فأثبتوا لهم من الكرامات والمعاجز ما هي بعيدة عن الواقع، وعلى أيِّ حال فإنّا سنتحدث عن الغلو والغلاة في فصول هذا الكتاب.

أمّا الذين يذهبون إلى أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إله فيعبدونه من دون الله فإنّ حكم الإسلام فيهم صريح واضح وهو الكفر والإلحاد، وتترتب عليهم الآثار التي تترتب على الكفار من النجاسة وغيرها من الأحكام الوضعية التي ينصُّ عليها الفقهاء، ويسري هذا الحكم على كلّ من اعتقد بالإلهية شخص غير الله تعالى.

ومن المؤسف حقًّا أنّ يعد بعض المؤلِّفين الغلاة من الشيعة، ويوجّه لهم النقد اللاذع على ذلك، وهذا ناشئ عن الجهل أو الحقد على هذه الطائفة التي اعتنقت الإسلام حسب ما أنزله الله على نبيه العظيم وتبنت جميع قيمه وأهدافه.

إنّ موسوعات الفقه الإمامي والرسائل العلمية التي ألّفها السادة الفقهاء مليئة بالحكم على الغلاة بالكفر والإلحاد فكيف يحسبون على الشيعة ويعدون من طوائفها.

وكما تبرأ الشيعة من الغلو في أئمة أهل البيت عليهم السلام كذلك تبرأت من التهم التي ألصقها بهم من لا حريجة له في الدين كعادتهم للتربة الحسينية، وقد ألّفنا رسالة مختصرة في إبطال ذلك وعدم واقعيته وأنّه لم يكن المقصود منه إلَّا تفريق كلمة المسلمين وتشتيت وحدتهم، وعلى أيِّ حال فإنّ عقيدة الشيعة تمثل روح الإسلام وجوهره ليس فيها - والحمد لله - انحراف عنه ولا مجافاة لهدي الإسلام وتعاليمه وبهذا تطوي الصفحات الأخيرة من هذا التقديم آملاً من الله تعالى أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبنا عليه أنَّه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

[في رحاب الشيعة]

متى بدأ التشيع؟

الشيخ أحمد الوائلي

فيما مضى في فصل التمهيد انتهينا إلى أنَّ التشيع في بداياته ونهاياته واحد، وأنّ التطور المفترض فيه ما هو إلَّا تبرعم أفكار مستنبطة من الأصول حدثت عند الممارسة. وعناوين هي ثمرة لتفاعل بين أفكار ولمقارعة حجج بعضها ببعض ممّا يوجد عادة في التاريخ الثقافي لكلِّ نحلة من النحل.

والآن لا بدّ من الرجوع إلى بداية التشيع وبذرته التاريخية واستظهار ما إذا كانت سنخيتها تتحد مع الفكر الإسلامي أم لا. ثمّ ما هو حجمها؟ أيْ: البنية الشيعية يوم ولادتها. وما هي أرضية تكوينها؟ وهل هي عملية عاطفية أو عملية عقلائية انتهى إليها معتنقوها بمعاناة وتقييم واعيين؟

ولما كانت هذه الأمور ممّا اختلف فيه تبعاً لاستنتاج الباحثين ومزاجهم ومسبقاتهم وما ترجح لديهم بمرجح من المرجحات فلا بدّ من تقديم نماذج من آراء الباحثين في هذه المواضيع تكون المادة الخام ثم يبقى على القارئ أن يستشف الحقيقة من وراء ذلك ويكون له رأيًا يجتهد في أن يكون موضوعيًا.

إنّ المؤرّخين والباحثين عندما يحدّدون فترة نشوء التشيع يتوزعون على مدى يبتدئ من أيام النبي ونهاياته بعد مقتل الحسين عليه السلام. وسأستعرض لك نماذج من آرائهم في ذلك وأترك ما أذهب إليه إلى آخر الفصل.

أ - رأي يرى أنَّهم تكونوا بعد وفاة النبي (عليه الصلاة والسلام). وممن يذهب لهذا:

أولاً: ابن خلدون: فقد قال: إنّ الشيعة ظهرت لما توفِّي الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحقّ بالأمر وأنّ الخلافة

لرجالهم دون سواهم من قريش، ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأفّفوا من ذلك إلخ.

ثانياً: الدكتور أحمد أمين فقد قال: وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي أنَّ أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه.

ثالثاً: الدكتور حسن إبراهيم فقد قال: ولا غرو فقد اختلف المسلمون أثر وفاة النبيﷺ فيمن يولونه الخلافة وانتهى الأمر بتولية أبي بكر وأدّى ذلك إلى انقسام الأمة العربية إلى فريقين جماعية وشيعية.

رابعاً: اليعقوبي قال: ويعدّ جماعة من المتخلّفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيع ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبد المطلب.

وتعقيبًا على ذكر المتخلفين عن بيعة الخليفة أبي بكر قال الدكتور أحمد محمود صبحي: إنّ بواعث هؤلاء مختلفة في التخلُّف فلا يستدلُّ منها على أنَّهم كلّهم من الشيعة: وقد يكون ما قاله صحيحاً غير أنَّ المتخلّفين الذين ذكرهم المؤرِّخون أكدت كتب التراجم على أنَّهم شيعة، وستأتي الإشارة لذلك في محلِّها من الكتاب.

خامساً: المستشرق جولد تسيهر قال: إنّ التشيع نشأ بعد وفاة النبيﷺ وبالضبط بعد حادثة السقيفة.

ب- الرأي الذي يذهب إلى أنَّ التشيع نشأ أيام عثمان ومن الذاهبين لذلك: جماعة من المؤرِّخين والباحثين منهم: ابن حزم وجماعة آخرون ذكرهم بالتفصيل يحيى هاشم فرغل في كتابه وقد استند إلى مبرِّرات شرحها.

ج- الرأي الذي يذهب إلى تكون الشيعة أيام خلافة الإمام عليعليه السلام، ومن الذاهبين إلى هذا الرأي النوبختي في كتابه فرق الشيعة. وابن النديم في الفهرست حيث حدده بفترة واقعة البصرة وما سبقها من مقدمات كان لها الأثر المباشر في تبلور فرقة الشيعة وتكوينها.

د- الرأي الذي يذهب إلى أنَّ ظهور التشيع كان بعد واقعة الطف على اختلاف في الكيفية بين الذاهبين لهذا الرأي حيث يرى بعضهم أنَّ بوادر

التشيُّع التي سبقت واقعة الطف لم تصل إلى حدِّ تكوين مذهب متميّز له طابعه وخواصّه، وإنّما حدث ذلك بعد واقعة الطف بينُما يذهب آخرون إلى أنَّ وجود المذهب قبل واقعة الطف كان لا يعدو النزعة الروحية ولكن بعد واقعة الطف أخذ طابعاً سياسياً وعمق جذوره في النفوس، وتحدّدت أبعاده إلى كثير من المضامين، وكثير من المستشرقين يذهبون لهذا الرأي وأغلب المحدثين من الكتّاب. يقول الدكتور كامل مصطفى إنّ استقلال الاصطلاح الدال على التشيُّع إنّما كان بعد مقتل الحسين عليه السلام حيث أصبح التشيُّع كياناً مميزاً له طابعه الخاص.

في حين يذهب الدكتور عبد العزيز الدوري إلى أنَّ التشيع تميز سياسياً ابتداء من مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ويتضمن ذلك فترة قتل الحسين عليه السلام حيث يعتبرها امتداداً للفترة السابقة.

وإلى هذا الرأي يذهب بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) حيث يقول: والحق أنَّ ميتة الشهداء الذي ماتها الحسين ولم يكن لها أيُّ أثر سياسي هذا على زعمه – قد عملت في التطور الديني للشيعة حزب علي الذي أصبح بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب – وهو زعم باطل– واليوم لا يزال ضريح الحسين عليه السلام في كربلاء أقدس محجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما فتئوا يعتبرون الثواء الأخير في جواره غاية ما يطمعون فيه.

إنّ رأي بروكلمان بالإضافة لما فيه من دسٍّ يخالف ما عليه معظم من ربط ظهور التشيُّع بمقتل الحسين حيث يذهبون إلى أنَّ التميّز السياسي للمذهب ولدته واقعة الطف، لكن يرى بروكلمان أنَّ لا أثر سياسي للواقعة فهو من قبيل إنكار البديهيات، وإنّما يقصر أثر الواقعة على تعميق المذهب دينيًا فقط.

وقد شايع بروكلمان في هذا الرأي جماعة آخرون ذكرهم يحيى فرغل مفصلاً في كتابه، إنّ هذه الآراء الأربعة في نشأة التشيُّع لا تثبت أمام المناقشة ولا أريد أن أتعجّل الردّ عليها فسأذكر الرأي الخامس ومنه يتضح تماماً أنَّ هذه الآراء تستند إلى أحداث أومض فيها التشيع نتيجة احتكاكه بمؤثر من المؤثرات في

تلك الفترة التي أرّخت بها تلك الآراء ظهور التشيُّع فظنّوه ولد آنذاك، في حين هو موجود بكيانه الكامل منذ الصدر الأول. وقد آن الأوان لأعرض لك رأي جمهور الشيعة وخاصة المحقّقين منهم:

هـ - رأي الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى. حيث ذهب هؤلاء إلى أنَّ التشيُّع ولد أيام النبيﷺ وأنّ النبيّ نفسه هو الذي غرسه في النفوس عن طريق الأحاديث التي وردت على لسان النبيﷺ وكشفت عمّا لعليعليه السلام من مكانة في مواقع متعدّدة رواها إضافة إلى الشيعة ثقات أهل السنة، ومنها: ما رواه السيوطي عن ابن عساكر عند تفسير الآيتين السادسة والسابعة من سورة النبي بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبيﷺ فأقبل عليعليه السلام فقال النبيﷺ: «**والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة**»: فنزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال النبيﷺ لعليعليه السلام «**هم أنت وشيعتك**».

وأخرج ابن مردويه عن عليعليه السلام قال: قال لي رسول اللهﷺ: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرًّا محجلين. ومن هنا ذهب أبو حاتم الرازي إلى أنَّ أوّل اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة أبو ذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي، وبعد صفين اشتهر موالي علي بهذا اللقب.

إنّ هذه الأحاديث التي مرّت والتي أخرجها كلٌّ من ابن عساكر وابن عدي وابن مردويه يعقّب عليها أحمد محمود صبحي في كتابه (نظرية الإمامة) فيقول: ولا تفيد الأحاديث الواردة على لسان النبيﷺ في حقِّ عليعليه السلام أنّ لعلي شيعة في زمان النبي فقد تنبأ النبي بظهور بعض الفرق كإشارته إلى الخوارج والمارقين كما ينسب إليه أنَّه قال لعلي إنّك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ولا يدلّ

ذلك على وجود جماعة مستقلة لها عقائد متمايزة أو تصوّرات خاصة.

وأنا ألفت نظر الدكتور أحمد محمود إلى أنَّ الشيعة لا يستدلون على ظهور التشيع أيام النبيﷺ بما ورد على لسانه من أحاديث، فالمسألة كما يسميها الأصوليون على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، أي لا يلزم وجودهم بالفعل كما استظهر الدكتور، وإنّما هي صفات ذكرها النبيﷺ للشيعة متى وجدوا وأينما وجدوا، أمّا الاستدلال على ظهور الشيعة أيام النبي فمن روايات وقرائن كثيرة يوردونها في هذا المقام، أورد قسماً منها الدكتور عبد العزيز الدوري واستعرض مصادرها مع ملاحظة أنَّه قيّد التشيُّع بأنّه تشيُّع روحي كما نصّ على قسم من أدلتهم على ذلك يحيى هاشم فرغل في كتابه.

إنّ بعض هذه الآراء يرجع بالبداية الزمنية في ظهور الشيعة إلى وقت مبكر في حياة النبيﷺ حيث التأمت جماعة من الصحابة تفضِّل علياًعليه السلام على غيره من الصحابة وتتخذه رئيساً، ومن هؤلاء عمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وجابر بن عبد الله وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري وبنو هاشم.. إلخ.

ولهذا ذهب الباحثون إلى تخطئة مَن يؤرِّخ للتشيُّع وظهوره بعصور متأخّرة مع أنَّ الأدلة التاريخية متوفّرة على وجودهم أيام الرسول (صلوات الله عليه وآله): يقول محمد عبد الله عنان في كتابه (تاريخ الجمعيات السرية) عند تعليقه على الحادثة التي روتها كتب السيرة حين جمع النبي عشيرته عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ودعاهم إلى اتباعه فلم يجبه إلَّا علي بن أبي طالب فأخذ النبي برقبته وقال: «هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.. إلخ». علّق محمد عبد الله بقوله: من الخطأ أن يقال: إنّ الشيعة إنّما ظهروا لأوّل مرّة عند انشقاق الخوارج، بل كان بدء الشيعة وظهورهم في عصر الرسول حين أمر بإنذار عشيرته بهذه الآية.

[هوية التشيع]

أوراق اجتماعية

أسباب لجوء البعض إلى أسلوب النقد الساخر

السيِّد محمَّد باقر السيستانيّ

وقد شاع في الوسائل الحديثة في العصر الحاضر اتِّباع هذا الأسلوب في شأن القضايا الأخلاقيَّة والدينيَّة حتَّى باتت تستعمله جلُّ وسائل الإعلام وأصبح من الأساليب الشائعة لتغيير الثقافات والأخلاقيَّات العامَّة، وذلك لعدَّة خصائص فيه:

أوَّلاً: أنَّه أسلوبٌ سهلٌ لا عناء فيه، إذ يكفي فيه أن يتقن المرء كيفيَّة الانتقاص والتوهين والاستخفاف وهو أمر ميسّر لمن تعوَّد عليه، ولا يحتاج إلى عناء البرهان والاستدلال والبحث والتفحُّص والنقد الموضوعيِّ.

ثانياً: أنَّه سريع التأثير في المخاطب، لأنَّه ينفذ فيه من مداخل العاطفة والإحساس ولا يحتاج إلى تأمُّل وتريُّث وتفكير، إلَّا إذا كان المخاطب موزوناً في داخله غيرَ منساق للعب بعواطفه.

ثالثاً: أنَّه أسلوب ناعم يمزج الجدَّ بالهزل والفكرَ بالمرح والعلمَ باللعب، فلا يأخذ المخاطب أهبته لاتِّخاذ الرأي وتحديد الموقف، بل يتأثّر به من حيث لا يحتسب من دون مقاومة وتأكّد، فهو يمرّر مواقف جادَّة من خلال أساليب لاهية ينزلق إليه الشخص انزلاقاً ويستدرج إليه استدراجاً.

رابعاً: أنَّ المخاطب كثيراً ما يتعرَّض فيه إلى الإحراج للاقتناع، لأنَّه يجد نفسه في موضع السخرية والاستهزاء والانتقاص والتحقير إذا ما تبنَّى الفكرة التي تمَّ الاستهزاء بها والسخرية منها، فيدفعه ذلك إلى رفع اليد عنها وقايةً لنفسه وحفظاً لاحترامه أمام المتكلِّم والآخرين.

خامساً: أنَّه لا دفاع نافع في مقابل السخرية والاستهزاء بالفكرة، إذ ليس مبنى السخرية نقد الفكرة بفكرة حتّى تكون الفكرة المعروضة قابلة للنقاش، بل هو نحوُ توهينٍ واستخفاف فحسب، وهو أمر لا مردَّ له، كما قال الشاعر في شأن بعض الدعاوي الكاذبة على الشخص التي توجب الشعور بالتقزُّز من تناول الطعام معه:

قد قيل ذلك إن صدقاً وإن كذباً
فما اعتذارك من قول إذا قيلا

سادساً: أنَّ السخرية والاستهزاء

ينفع في إزالة القناعات التي يصعب قلعها لكونها فطريَّة أو موثوقة أو راسخة في نفس الطرف رسوخاً كبيراً، وهي أمور يستحيل إزالة القناعة بها بالأساليب الجادَّة لاشتمال الفطرة عليها وتواتر حججها، ولكن يمكن للسخرية أن تزلزلها وتقتلعها وتوجب انهيارها إذا لم يملك المخاطب وعياً في التعامل معها ولم يأخذ حذره تجاهها.

فالسخرية لن تسقط الفكرة أو الشخص من خلال النقد الفكريِّ، بل من خلال التوهين والاستخفاف حتّى يخجل صاحب الفكرة من تبنِّيها مهما كانت فطريَّة وراشدة ورصينة ومتجذِّرة في نفسه، وحتَّى يسقط حرمة الشخص المنظور مهما كان محترماً وموزوناً ومتيناً وموصوفاً بالسلوك القويم والسوابق الحسنة.

هذه خصائص أسلوب السخرية التي تغري أصحابها باستخدامها في نقد الأفكار ومناقشتها بدلاً عن النقد الفكريِّ الحقيقيِّ المبنيِّ على التأمُّل والملاحظة.

امتياز الإنسان عن سائر الأحياء

الشيخ محمد تقي فلسفي

بالرغم من أنَّ الإنسان يعدُّ أحد الموجودات الحية في العالم، ويتركّب وجوده من سائر العناصر المكونة للموجودات الأخرى... لكنه يمتاز عنها بخصائص ومميزات تفصله عن سائر الأحياء. إنّ الإنسان يختلف عن الأشجار والأزهار، وعن الحشرات والحيوانات في جهات متعدِّدة، ومن جملة هذه الفروق: أنَّ الحيوانات لا تحتاج في بلوغها الكمال المحدّد لها إلى تعليم وتربية. إنّ الغرائز الفطرية التي أودعها الله تعالى فيها هي التي ترشدها بانتظام وفي جميع مراحل حياتها إلى مطاليبها، وهي تسلك طريق تكاملها بصورة صحيحة... لكن الإنسان يحتاج إلى التعليم والتربية، فإنّه إن لم تكن تربيته مطابقة لأساليب علمية وعملية لا يصل إلى الكمال اللائق به، ويستحيل أن تظهر استعداداته الفطرية ومواهبه إلى حيز الخارج.

إنّ القرآن يحكي لنا قصة موسى وهارون حين توجّها بأمر من الله إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، ومن خلال تلك القصة يسأل فرعون عن الخالق الذي يدعوان إليه قائلاً: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾؟! فيجيبه موسى عليه السلام: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾!.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

سر الشخصية

السيّد منير الخبّاز

علماء النفس يقولون: سر الشخصية في عطائها وإنتاجها، إذا أردت أن تكتشف شخصية فاقرأ نتاجها، واقرأ عطاءها، فإذا كان العطاء والنتاج غزيرًا مثمرًا كشف ذلك عن عمق في هذه الشخصية، وعظمة في هذه الشخصية، فمقياس الشخصية الإنسانية بعطائها وإنتاجها، وهذا هو تطبيق لقاعدة السنخية بين العلة والمعلول، التفاحة الشهية تعبّر عن جذور زكية، الزيتونة الشهية تعبر عن شجرة مباركة، عمق الأثر يدلُّ على عمق المؤثر، غزارة الإنتاج والعطاء تدلُّ على غزارة الشخصية وعظمتها، فهناك مشاكلة بين الإنتاج وبين الشخصية.

وهذا ما يؤكِّده القرآن الكريم عندما يقول: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾، ويقول القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، وهذا ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال: «قيمةُ كلِّ امرئ ما يحسنه»، قيمتك في عطائك، قيمتك في إنتاجك، وورد عنه عليه السلام: «المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه»، فقيمة الشخصية وسرها في عطائها وإنتاجها.

[الموقع الرسمي للسيّد منير الخبّاز]

تحرير المرأة في الإسلام

السيد مهدي الصدر

وندرك من هذا العرض السالف مبلغ التخبط والتأرجح في تقييم المرأة عبر العصور القديمة والحديثة، دون ان تهتدي الأمم إلى القصد والاعتدال، ممّا أساء إلى المرأة والمجتمع الذي تعيشه إساءة بالغة.

فلما انبثق فجر الاسلام وأطل على الدنيا بنوره الوضّاء، أسقط تلك التقاليد الجاهلية وأعرافها البالية، وأشاد للإنسانية دستوراً خالداً يلائم العقول النيّرة والفطر السليمة، ويواكب البشرية عبر الحياة.

فكان من إصلاحاته أنّه صحح قيم المرأة وأعاد إليها اعتبارها، ومنحها حقوقها المادية والأدبية بأسلوب قاصد حكيم، لا إفراط فيه ولا تفريط، فتبوأت المرأة المسلمة في عهده الزاهر منزلة رفيعة لم تبلغها نساء العالم.

لقد أوضح الإسلام واقع المرأة، ومساواتها بالرجل في المفاهيم الإنسانية، واتحادها معه في المبدأ والمعاد، وحرمة الدم والعرض والمال، ونيل الجزاء الأخروي على الأعمال، ليُسقط المزاعم الجاهلية إزاء تخلف المرأة عن الرجل في هذه المجالات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]. وكان بعض الأعراب يئد البنات ويقتلهن ظلماً وعدواناً، فجاء ناعياً ومهدداً على تلك الجريمة النكراء، ومنح البنت شرف الكرامة وحقّ الحياة: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[3]، ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[4].

وقضت الأعراف الجاهلية أن تسوم المرأة ألوان التحكم والافتئات، فتارة تقسرها على التزويج ممن لا ترغب فيه، أو تعضلها من الزواج.

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٢) سورة النحل: آية ٩٧.
(٣) سورة التكوير: الآيتان ٨- ٩.
(٤) سورة الإسراء: آية ٣١.

وأخرى تُورث كما يورث المتاع، يتحكّم بها الوارث كيف يشاء، فله أن يزوجها ويبتز مهرها، أو يعضلها حتى تفتدي نفسها منه أو تموت، فيرثها كُرهاً واغتصاباً. وقد حرّرها الإسلام من ذلك الأسر الخانق والعبودية المقيتة، ومنحها حرية اختيار الزوج الكفوء، فلا يصح تزويجها إلّا برضاها، وحرم كذلك استيراثها قسراً وإكراهاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[1].

وكانت التقاليد الجاهلية، وحتى الغربية منها إلى عهد قريب تمنع المرأة حقوق الملكية، كما حرمتها الجاهلية العربية حقوق الإرث؛ لأنّ الإرث في عرفهم لا يستحقه إلّا رجال القبيلة وحماتها المدافعون عنها بالسيف. وقد أسقط الإسلام تلك التقاليد الزائفة، ومنح المرأة حقوقها الملكية والإرثية، وقرّر نصيبها من الإرث.. أمَّا كانت، أو بنتاً، أو أختاً أو زوجة: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[2]، ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾[3]، وفرض للزوجة على زوجها حقِّ الإعالة، ولو كانت ثرية موسرة.

وقد عرضنا في حقوق الزوجة طرفاً من وصايا أهل البيت عليهم السلام في رعايتها وتكريمها، تعرب عن اهتمام الشريعة الإسلامية بشؤون المرأة ورفع معنوياتها.

واستطاع الإسلام بفضل مبادئه وسمو آدابه أن يجعل المرأة المسلمة قدوة مثالية لبناء الأمم، في رجاحة العقل وسمو الإيمان وكرم الأخلاق، ورفع منزلتها الاجتماعية، حتى استطاعت أن تناقش وتحاجّ الخليفة الثاني إبّان خلافته، وهو يخطب في المسلمين وينهاهم عن المغالاة في المهور، فانبرت له امرأة من صف الناس، وقالت: ما ذاك لك.

فقال: ولِمَ؟

(١) سورة النساء: آية ١٩.

(٢) سورة النساء: آية ٣٢.

(٣) سورة النساء: آية ٧.

أجابت: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[1].

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر وأصابت امرأة.

وقد سجل التاريخ صفحات مشرقة بأمجاد المرأة المسلمة ومواقفها البطولية في نصرة الإسلام، يقصّها الرواة بأسلوب رائع ممتع يستثير الإعجاب والإكبار.

فهذه (نسيبة المازنية) كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بني، إلى أين تفرُّ عن الله وعن رسوله؟ فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بارك الله عليك يا نسيبة**.

وحجّ معاوية سنة من سنيِّه، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها (دارميّة الحجون) وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها. فجيء بها، فقال: ما حالك يا بنة حام؟ قالت: لست لحام إن عبتني، إنّما أنا امرأة من بني كنانة، ثمت من بني أبيك.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلَّا الله.

قال: بعثت إليك لأسألك، علامَ أحببت علياً وأبغضتني، ووالیته وعاديتني؟

قالت: أوَتعفيني يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيك.

قالت: أمّا إذا أبيت، فإنِّي أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية. وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحقٍّ. ووالیت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفك الدماء، وشقك العصا وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى.

(١) سورة النساء: آية ٢٠.

قال: فلذلك انتفخ بطنك.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية: يا هذه، اربعي، فإنّا لم نقل إلَّا خيراً، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: أي والله لقد رأيته.

قال: فكيف رأيتيه؟

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ.

قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟

قالت: أوَتفعل إذا سألتك؟ قال: نعم.

قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فإن أعطيتك ذلك، فهل أحلُّ عندك محلّ عليٍّ؟

قالت: ماء ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك.

ثم قال: أما والله لو كان عليٌّ حيًّا ما أعطاك منها شيئاً.

قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

***

وهذه أم وهب بن عبد الله بن خباب الكلبي، قالت لابنها يوم عاشوراء: قم يا بني، فانصر ابن بنت رسول الله، فقال: أفعل يا أماه ولا أقصر.

فبرز وهو يقول رجزه المشهور، ثم حمل فلم يزل يقاتل، حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمّه وامرأته، فوقف عليهما فقال: يا أماه أرضيت؟

فقالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

فقالت امرأته: بالله، لا تفجعني

في نفسك.

فقالت أمُّه: يا بني، لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله، فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله. فرجع ولم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثم قطعت يداه. وأخذت أمُّه عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين - حرم رسول الله صلى الله عليه وآله -. فأقبل كي يردها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه «لن أعود أو أموت معك».

فقال الحسين عليه السلام: **جزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي إلى النساء، رحمك الله**، فانصرفت. وجعل يقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه [1].

هذه لمحة خاطفة من عرض تاريخي طويل زاخر بأمجاد المرأة المسلمة، ومواقفها البطولية الخالدة، اقتصرنا عليها خشية الإطالة.

وأين من هذه العقائل المصونات، نساء المسلمين اليوم، اللاتي يتشدق الكثيرات منهن بالتبرج، ونبذ التقاليد الإسلامية، ومحاكاة المرأة الغربية، في تبرجها وخلاعتها.

فخسرن بذلك أضخم رصيد ديني وأخلاقي تملكه المرأة المسلمة وتعتز به، وغدون عاطلات من محاسن الإسلام، وفضائله المثالية.

[أخلاق أهل البيت عليهم السلام]

(١) نفس المهموم للشيخ عباس القمي رحمه الله بتصرف وتلخيص.

أوراق ثقافية

تكفّل الله تعالى برزق طالب العلم واشتراط ذلك بالإخلاص

الشيخ يوسف البحراني

وقد حكى لي والـدي العلّامة عن جمع من فضلاء بلادنا (البحرين) الذين بلغوا من الفضل علماً وعملاً وتقوى ونبلاً ما هو أشهر من أن ينقل... فإنّهم كانوا في مبدأ الاشتغال على غاية من الفقر والحاجة... وحيث إنّهم (رضوان الله عليهم) طلّقوا الدنيا وقصروا على الرغبة في الأخرى، ارتقوا من الدنيا أعلى مراتبها وانقادت لهم بأزمّتها وتراقيها حتى صار كلٌّ منهم نابغة زمانه ونادرة أوانه.

لكن ينبغي أن يعلم أنَّ هذه المرتبة ليست سهلة التناول لكلِّ طالب، ولا ميسرة إلَّا بإخلاص النية له في طلب العلم، فإنّ مدار الأعـمال على النيات، وبسببها يكون العلم تارة خزفة لا قيمة لها، وتارة جوهرة فاخرة لا يعلم قيمتها، لعظم قدرها، وتـارة يكون وبـالاً على صاحبه مكتوباً في ديوان السيئات، وإن كان ما أتى به بصورة الواجبات.

فيجب على الطالب أن يقصد بطلبه الإخلاص لوجه الله تعالى وامتثال أمره، وإصلاح نفسه، وإرشاد عباده إلى معالم دينه، ولا يقصد بذلك شيئاً من الأعمال الدنيوية من تحصيل مال وجاه، ورفعة وشهرة بين الناس، أو المباهاة والمفاخرة للأقران، والترفُّع على الإخـوان ونحو ذلك ممّا يوجب البُعد منه سبحانه وتعالى والخذلان، مضافاً إلى ذلك التوكُّل عليه سبحانه في جميع الأمور، والقيام بأوامره ونواهيه في الورود والصدور كما تقدم في كلام شيخنا المذكور.

[الحدائق الناضرة ج١٨ ص١٢]

أخلاق الإنسان مع النفس

السيّد محمّد هادي الخرسان

لقد شخّص القرآن أمراضاً نفسية وحالات مرضية وعُقُداً مستحكمة في سلوك الأفراد... وشهد بأنّ الإنسان:

جهول / كفور / يؤوس / فرح / مختال / عجول / ظلوم / قتور / هلوع / جزوع / مجادل / لاهٍ / مغرور / كنود / وسواسي / متمنٍّي / متقلِّب في المواقف / خصم / طاغية / يحبُّ الفجور /

ينسى الفضل / محب للمال / جشع / شهواني....

نلاحظ أنَّ القرآن تحدّث عن هذه الحالات بصيغة المبالغة ممّا يؤكِّد عمق وسعة وخطورة هذه الحالات في النفس البشرية المريضة... ولقد ثبّت القرآن الكريم منهجاً وقاعدة للتغيير الاجتماعي تنطلق من تغيير تلك النزعات والتغلُّب عليها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم﴾ [الرعد / ١١][1].

فعلينا أن نبدأ بتغيير نفوسنا وفق المنهج الإلهي فنصوِّب نفوسنا تجاه الله تعالى ونبتعد بها عن الشيطان وأتباعه بعد ما عرفنا دور الشيطان في الابتعاد عن الطريق المستقيم من خلال قوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۞ إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ ۞ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِين﴾ [الحجر / ٣٩ - ٤٣]، فقد أخذ الشيطان على نفسه وعداً بأن يغوي الإنسان ليبتعد عن الله تعالى وفي الوقت عينه وعد الله الذين يبتعدون عن الشيطان بالجنّة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِين﴾ [الحجر / ٤٥ - ٤٦] فالمتّقي الذي أخلص العبادة لربِّه وابتعد عن الشيطان فكانت نيّته خالصة لربِّه عزّوجلّ وعمل الصالحات واجتنب عن المعاصي وكانت له القوّة على أداء الطاعة واجتناب المعصية؛ ولذا سنذكر نماذج لأخلاق الإنسان مع نفسه ممّا يتعلّق بالنيّة والعمل والقوّة وهي:

١ - الإخلاص.

٢ - العفّة.

٣ - الصبر.

فأيُّ عمل يقوم به الإنسان يحتاج إلى نيّة فإذا كانت خالصة لله عزّوجلّ استحقّ العمل أن ينظر الله تعالى إليه ويحتاج إلى الصبر وقوّة التحمُّل ليؤدِّيه

(١) دروس إسلامية، الحلقة ٤٣ - ٤٤، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص٢٧ - ٢٨.

خالصاً مع حفظ النفس وتعفُّفها عن الرذائل وهذا ما سنذكره على النحو الإيجاز تاركين التفصيل إلى فرصة أُخرى.

١ – الإخلاص:

وهو في اللغة: (تنقية الشيء وتهذيبه)[١].

وفي الاصطلاح: (تجريد النيّة من الشوائب والمفاسد)[٢].

وبعبارة أُخرى هو (تجريد قصد التقرُّب إلى الله تبارك وتعالى عن جميع الشوائب والعلل والتبرِّي من كلّ ما دون الله سبحانه)[٣] فيكون العمل خالصاً لوجه الله وتكون النيّة نقيّة عن جميع الشوائب الحاجزة عن السلوك في طريق الله تعالى وإذا كان هناك جزء مهما صغر من الشوائب التي تظهر لنا أمام أعيننا ونحن نسير نحو الله تعالى فإنّه يجعل النيّة غير خالصة لله تبارك وتعالى وقد قال في محكم كتابه ﴿ وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة ﴾ [البيّنة / ٥].

وجاء في تفسير هذه الآية في كتاب التبيان: (أيْ: لم يأمرهم الله تعالى ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّه ﴾ وحده ولا يشركوا بعبادته غيره ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ لا يخلطون بعبادته عبادة سواه. وقوله: ﴿ حُنَفاء ﴾ جمع حنيف وهو المائل إلى الحقِّ... وقوله: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاة ﴾ أي يدوموا عليها ويقوموا بحدودها ﴿ وَيُؤْتُوا الزَّكاة ﴾ المفروضة من أموالهم ثمّ قال ﴿ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة ﴾ أي ذلك الذي تقدّم ذكره... دين الملّة القيّمة)[٤].

فالإخلاص لله تعالى في النيّة والتي هي في داخل نفس الإنسان ولا يعلم بها إلّا الله تعالى والإنسان نفسه هو عالم بها أيضاً هو (أن يكون العابد مخلصاً في عبادته فلا يرائي ولا يشرك به تعالى في العبادة. قد حثّ القرآن الكريم على الإخلاص بعدم الرياء وبعدم الشرك فقال تعالى ﴿ فَاعْبُدِ اللَّه مُخْلِصاً لَهُ

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (م. س.)، ص٣٠٩.
(٢) الأخلاق، شبّر، (م. س.)، ص١٧.
(٣) موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج٢، ص١٧٣.
(٤) التبيان، (م. س.)، ج١٠، ص٣٨٩ – ٣٩٠.

الدِّين﴾ [الزمر / ٢]... وقد ورد مدح الله عزَّوجلَّ للعباد المخلصين فقال تعالى مادحاً يوسف عليه السلام بأنّه كان من المخلصين وإنّ هذا الوصف نفعه حين ابتلائه بالسجن فكان تحت عناية الله تعالى ورعايته وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِين﴾ [يوسف / ٢٤].

فالسوء بعيد عن يوسف عليه السلام لأنّه مخلص في عبادته، والإخلاص يجلب الحماية للإنسان فيكون تحت رعاية الله تعالى فلا يمكن للشيطان أن يغويه فقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين﴾ [ص / ٨٢ - ٨٣] والمخلصون لا يشملهم العذاب والغضب فقال تعالى: ﴿وَما تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُوم﴾ [الصافات / ٣٩ - ٤١].

وهناك آيات كثيرة وردت في مقام النهي عن الشرك والإشراك في عبادته تعالى... منها قوله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً﴾ [التوبة / ٣١]... وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد / ٣٦] فتبيّن من هذه الآيات أنَّ الإخلاص في العبادة لله تعالى يتطلّب عدم الشرك وعدم الرياء ولذا قالوا الرياء شرك خفي لأنّه عبارة عن العبادة بقصد المرآت أمام الآخرين وحبّ الظهور أمامهم بمظهر الملتزم المتعبّد فيكون قد جعل شريكاً في عبادته.

وجاء عن أهل البيت عليهم السلام في شرح حقيقة الإخلاص وبيان أثره في حياة الإنسان الأحاديث الكثيرة ننقل بعضاً منها عن كتاب ميزان الحكمة:

أ - حقيقة الإخلاص:

١ - عن النبي صلى الله عليه وآله: (ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل لله).

٢ - عن الإمام علي عليه السلام: (العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلَّا ربّه ولا يخاف إلَّا ذنبه).

٣ - عن الإمام الصادق عليه السلام: (العمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلَّا اللَّه عزّوجلّ).

ب – آثار الإخلاص:

١ – عن النبي صلى الله عليه وآله: (أخلص قلبك يكفك القليل من العمل).

٢ – عن النبي صلى الله عليه وآله: (اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلّها).

٣ – عن الإمام علي عليه السلام: (في الإخلاص يكون الخلاص).

ج – أسباب الإخلاص ومناشئه:

١ – عن الإمام علي عليه السلام: (سبب الإخلاص اليقين).

٢ – عن الإمام علي عليه السلام: (ثمرة العلم إخلاص العمل).

٣ – عن الإمام علي عليه السلام: (أوّل الإخلاص اليأس ممّا في أيدي الناس).

وأخيراً يفصل لنا الإمام الباقر عليه السلام المسافة بين الإخلاص والرياء فيقول: (ما بين الحقِّ والباطل إلّا قلّة العقل قيل وكيف ذلك يابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال إنَّ العبد يعمل العمل الذي هو للّه رضى فيريد به غير اللّه فلو أنّه أخلص للّه لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك).

فالمسافة بينهما تقدّر بقلّة عقل الإنسان وعدم تدبُّره في ما ينفعه وما يضرُّه فإنّه حين يعمل لله تعالى يرزقه الله من حيث لا يحتسب ويقبل عمله لكن إذا عمل ما كان لله تعالى يريد به غير الله فالله سيحرمه من الرزق ولا يقبل عمله فالعاقل يلحظ الربح في أعماله وعلى هذا فالمقابل للإخلاص هو الرياء والسمعة.

الرياء: هو (التظاهر بالخير من دون حقيقة لينال رضى الناس) أو هو (طلب الجاه والرفعة في نفوس الناس بمرآآت أعمال الخير)، (أصل الرياء من الرؤية وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير والسمعة من السماع وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بأسماعهم ما يوجب ذلك)، قال تعالى في وصف المنافقين ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلا﴾ [النساء / ١٤٢]، وممّا جاء في تفسير هذه الآية (أنَّ المنافقين لا يعملون شيئاً من أعمال العبادات التي أوجبها على المؤمنين على وجه القربة إلى الله... وإنّما يفعلون ذلك إبقاءً على أنفسهم وحذراً من المؤمنين أن يقتلوهم ويسلبوا أموالهم فهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى إليها رياءً للمؤمنين ليحسبوهم المؤمنون منهم وليسوا منهم).

وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة / ٢٦٤] (أيْ: لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق رياء الناس لا يريد بإنفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة).

فالرياء والسمعة هما من أكبر الرذائل التي تحيط بنفس الإنسان فتسلبه التوفيق لنيل مرضاة الربِّ تعالى شأنه حتّى إنَّه ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: (إنِّي تخوّفت على أُمّتي الشرك أما إنّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنّهم يراؤون بأعمالهم) وأنّه قال صلى الله عليه وآله: (إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء). وجاء في أخبار أهل البيت عليهم السلام وصف المرائي بأنّ له علامات أربع: (يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أُثني عليه وينقص منه إذا لم يثن عليه) ومن آثار الرياء أنَّ صاحب العمل لا ينال ثوابه من عند الله بل يساق به إلى النار كما يحدّثنا به الإمام الصادق عليه السلام: (يجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول ياربِّ صلّيت ابتغاء وجهك فيقال له صلّيت ليقال ما أحسن صلاة فلان اذهبوا به إلى النار) ولذا حرص أئمّتنا على التنبيه لخطورة الرياء والتحذير من آثاره حتّى بعد العمل ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: (الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل). قال الراوي: وما الإبقاء على العمل؟ قال: (يصل الرجل بصلة وينفق نفقة للّه وحده لا شريك له فتكتب له سرًّا ثمّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثمّ يذكرها فتمحى وتكتب له رئاء) فالنيّة إمّا حسنة بأن تكون القربة لله وإمّا سيِّئة بأن يشرك في النيّة مع الله أحداً أو يأتي بالعمل متقرِّباً إلى غير الله تعالى مهما كان نوع العمل وعلى هذا فلا يصحّ أن يقال (فالنيّة توصف بأنّها حسنة أو عادية أو سيّئة تبعاً لما إذا كانت طاعة الإنسان لله من أجل ذاته أو كانت ذات هدف نفعي مشروع أو غير مشروع فالعمل إمّا لله تعالى أو لغيره ولا واسطة في البين نسأل الله تعالى التوفيق للإتيان بالأعمال الحسنة سرًّا وعلانية نريد بها

وجه الله تعالى لننال بها رضوانه ونفوز بجنانه.

٢ – العِفّة بكسر العين:

في اللغة: (الكفُّ عمّا لا ينبغي .

وفي الاصطلاح: هي (الامتناع والترفّعُ عمّا لا يحلُّ أو لا يجمل من شهوات البطن والجنس)، (ولذلك قيل عفّ الرجل عن الحرام والعفيفة هي المرأة الخيّرة والتي تصون عرضها وشرفها والتعفُّف هو الاقتصار على أخذ الشيء القليل وهو أيضاً طلب العفاف والمتعفّف هو الذي يحاول الاتّصاف بالعفّة عن طريق الممارسة وقوّة الإرادة)، فالعفّة لا يعني حرمان النفس من رغباتها بل ضبط تصرُّفاتها في البطن والجنس اللذين هما من الحاجات الضرورية فيقتصر على المعتدل ممّا أباحه الله تعالى لنا ولا نتجاوز الحدّ من جانبي الكثرة والقلّة فالعفّة في اصطلاح علماء الأخلاق (وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة وأعني بالشره الانهماك في اللذّات والخروج فيها عمّا ينبغي وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذّة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته وهي ما رخّص فيه صاحب الشريعة والعقل وقد جاء الجذر اللغوي (عفّ) في القرآن الكريم في أربعة موارد بصيغتين:

الصيغة الأُولى: صيغة فعل المضارع (يستعفف) في ثلاث آيات:

أ – قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء / ٦]، أيْ: (من كان غنياً من ولاة أموال اليتامى فليستعفف بماله عن أكلها)، فكان النهي عن أكل مال اليتيم مقابل الولاية عليه إذا كان الولي غنياً. والخطاب في هذه الآية شامل للرجال والنساء.

ب – قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور / ٣٣].

ج – قوله تعالى: ﴿ وَالْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور / ٦٠].

هاتان الآيتان تتحدّثان عن طلب

العفّة في جانب الجنس دون البطن وكان الخطاب في الآية الأُولى للرجال يحثُّهم على طلب الحلال في العلاقة الجنسية إن حصلت وإلَّا فليمتنع عن الحرام حتّى يغنيه الله من فضله فإنّ المتّقي لله في السرِّ والعلن يهيِّئ الله تعالى له سبيل الحلال من فضله من حيث يحتسب ولا يحتسب قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّه يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب ﴾ [الطلاق / ٢ – ٣]، وأمّا الآية الثانية فالخطاب متوجّه نحو النساء بطلب العفّة في إبراز ما يسوغ لهنّ من إبرازه بلحاظ كون المخاطب خصوص النساء القواعد اللاتي لا يرغب في نكاحهنّ لكبر السن فالخير لهنّ الستر والعفاف كلُّ ذلك تحفُّظاً عن إثارة الغريزة الجنسية في أجواء غير سليمة.

الصيغة الثانية: صيغة المصدر (التعفُّف) في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّه لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّف ﴾ [البقرة / ٢٧٣]، والحديث في هذه الآية شامل للرجال والنساء بلحاظ الاكتفاء بالقليل ممّا لديهم على الرغم من الحاجة، فهم يظهرون بمظهر الغنى تعفُّفاً وترفُّعاً عن سؤال الآخرين فالله تعالى أشار إلى خصلة حسنة وهي التعفُّف عمّا لا يليق والامتناع عمّا لا يجمل بالإنسان فعله الحياة العملية للإنسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف إلى قائمة حسناته حسنة أُخرى تكون نقطة تحوِّل في غاية الأهميّة إذ الكثير ممّن يقتني ويجمع المال ولكنّه من دون عفاف فلا يترك له أيّ أثر أو أيّ شيء يثير الانتباه إليه).

وقد عبّر القرآن الكريم عن العفّة في الجنس الحرام بالحفظ للفروج قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور / ٣٠ – ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظات ﴾ [الأحزاب / ٣٥]، فكان الخطاب والحديث موجّهاً للرجال والنساء حول حفظ الفرج عن الحرام في الجنس وإنّهم مأمورون

بذلك وعفّة الفرج من صفات المؤمنين والمؤمنات وفي آيتين أُخريين تحدّث القرآن عن صفات المؤمنين بما هم مؤمنون من دون تفريق في الخطاب بين الرجال والنساء للتنبيه على أنَّ العفّة من شؤون الإيمان وتوابعه فقال عزّوجلّ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُون ﴾ [المؤمنون / ٥ - ٧؛ والمعارج / ٢٩ - ٣١] فالإيمان يمنع الإنسان من الإفراط في الجانب الجنسي من حياة الإنسان وللعفّة ثمرتها العملية في حياة الإنسان ففي ميزان الحكمة.

١ - عن الإمام علي عليه السلام: «ثمرة العفّة القناعة».

٢ - عنه عليه السلام أيضاً: «من عفّ خفّ وزره وعظم عند اللّه قدره».

٣ - عنه عليه السلام أيضاً: بالعفاف تزكو الأعمال.

٣ - الصبر:

لغةً: هو (الحبس يقال صبّرتُ نفسي على ذلك الأمر أيْ: حبستها).

وفي اصطلاح علماء الأخلاق هو: (مقاومة النفس للهوى لئلّا تنقاد لقبائح اللذّات) وهذه المقاومة نلحظها في تصوير دقيق للصبر ذكره السيّد عبدالله شبّر في كتابه الأخلاق: (اعلم أنَّ القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهم على ساق ومحلُّ المعركة قلب المؤمن ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة والهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة).

وبتعبير آخر الصبر هو (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه وضدُّ الصبر الجزع ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿ سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيص ﴾ [إبراهيم / ٢١]، والصوم يسمّى صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والشهوة ويسمّى شهر رمضان شهر الصبر لأنّه شهر الصوم، والمصابرة: هي مطاولة الغير في الصبر، والتصبُّر: هو تكلُّف الصبر، والاصطبار: زيادة الاحتمال في مجال الصبر). ورد الجذر اللغوي

(صبر) (١٠٣ مرّات) في القرآن الكريم بصيغ مختلفة وهي على النحو التالي ففي صيغة فعل الماضي (٢١ مرّة)، وفي صيغة المضارع (١١ مرّة)، وفي صيغة فعل الأمر (٢٩ مرّة)، وفي صيغة المصدر (١٥ مرّة)، وفي صيغة اسم الفاعل (٢٢ مرّة)، وفي صيغة المبالغة لاسم الفاعل (٤ مرّات)، ومرّة واحدة في صيغة التعجُّب فمن هذا التكرار لمادّة (صبر) نفهم الاهتمام الشديد بالصبر وممّا جاء في مدح القرآن للصبر قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة / ١٣٥]، ففي الرواية عن الإمام الصادق قال: «الصبر الصيام وقال إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم فإنّ الله عزّوجلّ يقول استعينوا بالصبر يعني الصيام».

ويعلِّق السيّد السبزواري على هذه الرواية بقوله: (إنّه من باب التطبيق لأنّ الصوم يوجب الصبر عن الشهوات النفسانية فلا منافاة بين هذا الحديث وسائر ما ورد في معنى الصبر).

ومعنى الآية الشريفة الطلب إلى المؤمنين بأن يستعينوا في أُمورهم بالصبر والصلاة وذلك لأنّ (الاستعانة بالصبر استعانة بأهمِّ الأسباب المؤدّية إلى المطلوب... وأمّا الاستعانة بالصلاة فإنّها استعانة بأبرز مظاهر العبودية لربِّ العالمين)، (وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي معهم بالمعونة والنصرة كما تقول إذا كان السلطان معك فلا تبالِ من لقيت).

وضدّ الصبر (الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود...)، وجاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في حقِّ الصبر روايات كثيرة نذكر بعض ما ذكر في ميزان الحكمة:

أ - عن الإمام علي عليه السلام (الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم اللّه عليك).

ب - عن الإمام الصادق عليه السلام: «الصبر رأس الإيمان».

[محاضرات في علم الأخلاق]

طلوع الفجر

د. لبيب بيضون

قال عليه السلام: «**يا مَن دَلَعَ لسَانَ الصبَاحِ بنُطْقِ تَبَلجه**». شبّه الإمام عليه السلام الصباح بالإنسان الذي يريد أن يتكلّم، فهو يخرج لسانه ثم ينطق بالكلام. فخروج لسان الصباح هو طلوع الفجر، وتحريك لسانه بالنطق هو اصداره للضوء والنور شيئًا فشيئا. وفي تشبيه نور الصباح باللسان تشبيه بديع، لأنّ نور الصباح يكون مختبئاً وراء الأفق، ثم يخرج ويمتد شيئاً فشيئاً، كما يخرج اللسان بعد أن يكون مختبئاً في الفم ويمتد، إلَّا أنَّ اللسان يعطي الكلام، والصباح يعطي النور.

يشير الإمام عليه السلام في هذه الجملة إلى معجزة كبرى من معجزات الله تعالى في فلق النور واخراج الصباح، وهي معجزة الفجر الذي يطلع علينا كلّ يوم؛ يشق أفق الظلام، معلنًا ولادة يوم جديد في إعجاز جديد. فلولا قدرة الله تعالى لظلّ الليل دائماً على البشر، لكنه بتقديره ورحمته يفلق لنا الصباح حاملاً معه النور العميم، الذي يمهد لنا الطريق إلى العمل والسعي والمعاش، بعد ليل مريح تتخلّله النسمات المنعشة العليلة.

يمتدُّ الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وهي فترة لا تعدُّ من الليل ولا تعدُّ من النهار. إنّها فترة يتداخل فيها الليل مع النهار، ويكور فيها النهار على الليل. يقول تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾.

وهذه الظاهرة خاصّة بالأرض، وناتجة عن وجود الغلاف الجوي حول الأرض، المليء بالغازات والمعلقات وبخار الماء. ولولا هذا الغلاف لكانت بداية الصبح في لحظة واحدة بمجرد شروق الشمس، كما يحصل في القمر، أمّا مع وجود الغلاف الجوي فإنّ أشعة الشمس قبيل شروق الشمس تنشر على الذرات الموجودة في الجو، وتنتشر معطية إضاءة بسيطة في الجو، تبدأ من الفجر وحتى بزوغ الشمس.

وينقسم الفجر إلى فجرين: الفجر الكاذب والفجر الصادق. والذي يراقب ظهور الفجر من أوله، يرى أنّ الفجر يمرُّ بمرحلتين: في الأولى يظهر في السماء ضوء بسيط عمودي على الأفق في المكان الذي ستشرق منه الشمس، وهذا الضوء كلما أمعن فيه الناظر زاد اسودادًا، وهذا هو الفجر الكاذب، ثم يظهر في السماء نور معترض على امتداد الأفق، وكلّما حدّق فيه الناظر زاد نوراً ووضوحاً، وهو الفجر الصادق، المعوّل عليه في الواجبات الشرعية كالصلاة والصيام.

[الإعجاز العلمي عند الإمام علي عليه السلام]

الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي

يا نفس: أما تستحين تزينين ظاهرك للعوام، وتبارزين الله في السر بالجرائم، وكيف تأمرين بالخير الداني والقاصي وأنت ملطخة بالمعاصي؟! تدعين إلى اللين وأنت قاسية، وتذكرين بالله وأنت له ناسية. إذا أنت عبت الأمر ثم أتيته فأنت ومن تزري عليه سواء، فليكن قلبك محزوناً، وشرُّك مأموناً، ونفسك عفيفة، وحوائجك خفيفة، واصبري أياماً قليلة، لراحة طويلة، وانظري وجهك في المرآة في كلِّ آنٍ، وفي كلِّ وقتٍ وزمانٍ، فإن كان وجهك مليحاً، فاستقبحي أن تضيفي إليه فعلاً قبيحاً، وإن كان وجهك ليس بالزين، فلا تجمعي بين القبيحين، وانظري إلى قول الشاعر: شعر:

يا حسن الوجه فكن محسنًا
لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه لا تجمعن
بالله ما بين قبيحين

[محاسبة النفس]

من شعره في أهل البيت عليهم السلام

يذكر مصائبهم:

الشيخ قاسم المُلا

أغـار الأسـى بين الضلوع وأنجدا ... فصوّب طرفي الدمع حزنًا وصعّدا

ولي كـبـد رفّـــت لـفـقـد أحـبـتـي ... غـداة نـأوا والعيس طـار بها الحـدّا

وقد كنت رغد العيش في قرب دارهم ... فمذ بعدوا عني غدا العيش أنكدا

أسرِّحُ طـرفي في مـلاعـب حورهم ... فـلـم أر لا خـــودًا هـنـاك وخُـــرّدا

وما كان يعشو الطرف قبل فراقهم ... لأنّهـــمُ كـانـوا لـطـرفـيـه أثـمُـدا

وبالتلعات الحمر من بطن حاجر ... غـــرام أقـــام الـقـلـب مـني وأقـعـدا

ظللت أنـادي والركائب طوّحت ... بصبري وماري الندا بسوى الصدى

أأحـبـابـنـا هـل أوبـــةٌ لاجـتـماعـنـا ... أم الـشـمـل بـعـد الـظـاعـنين تـبـددا

ولم يشجني ربع خلا مثل ماشجى ... فـؤادي ربع قد خلا من بني الهدى

نوى العترة الهادين أضرم مهجتي ... وبـين حـنـايـا أضـلـعـي قـد تـوقّـدا

خلت منهمُ تلك العراص فأقفرت ... وقد عصفت فيهنّ عاصفة الردى

وكـانـوا مصابيحًا لخابطة الدجى ... اذا قطعت في الليل فجًّا وفدفدا

تنير به أحسابهم ووجوههم ... فبعدهم ياليت أطبق سرمدا
ونار قراهم قد رآها كليمه ... فعاد بها في أهله واجدًا هدى
وسُحْبُ أياديهم يسحُّ ركامها ... ومنهلهم للوفد قد ساغ موردا
قضوا بين من أرداه سيف ابن ملجم ... فأبكى أسىً عين البتول وأحمدا
ومابين من أحشاه بالسمِّ قطعت ... وقد نقضوا منه عهوًدا وموعدا
وصدُّوه عن دفن بتربة جدِّه ... وأدنوا إليه من له كان أبعدا
ولم تخبُ نيرانُ الضغائن منهم ... ولا قلب رجس من لظى الغيظ ابردا
الى أن تقاضوا من حسين ديونهم ... فروّت دماه المشرفي المهندا
أتته بجندٍ ليس يحصى عديده ... ولكنّه من يوم بدرٍ تجنّدا
وساموه ذلًّا أن يسالم طائعًا ... يزيد وأن يعطي لبيعته يدا
فهيهات ان يستسلم الليث ضارعًا ... ويسلس منه لابن ميسون مقودا
فجرّد بأسًا من حسام كأنّما ... بشفرته الموت الزؤام تجرّدا
إذا ركع الهندي يومًا بكفِّه ... تخرُّ له الهامات للأرض سجّدا
وأعظم ما أدمى مآقيه فقده ... أخاه أبا الفضل الذي عزّ مفقدا
رآه وبيض الهند وزّع جسمه ... وكفّيه ثاوٍ في الرغام مجرّدا
فنادى كسرت الآن ظهري فلم اطق ... نهوضًا وجيش الصبر عاد مبددا
وعاد ألى حرب الطغاة مبادرًا ... عديم نصيرٍ فاقد الصحب مفردا
ومازال يردي الشوس في حملاته ... إلى أن رُمي بالقلب قلبي له الفدا
فمال على الرمضا لهيف جوانح ... بعينيه يرنو النهر يطفح مزبدا
مصاب له طاشت عقولُ ذوي الحجى ... اذا ما تعفّى كلُّ رزء تجدّدا
وما بعده إلّا مصاب أبي الرضا ... كسا الدين حزنًا سرمديًّا مخلّدا
أتهدأ عين الدين بعد ابن جعفر ... وقد مات مظلومًا غريبًا مشرّدا

فعن رشده تاه الرشيد غوايةً ... وفارق نهج الحقِّ بغيًا وأبعدا
سعى بابن خير الرسل يا خاب سعيه ... فغادره رهن الحبوس مصفّدا
ودسّ له سمًّا فأورى فؤاده ... فكلُّ فؤادٌ منه حزنًا توقّدا
وهاك استمع ما يعقب القلب لوعةً ... وينضحه دمعا على الخد خددا
غداة المنادي أعلن الشتم شامتًا ... على النعش يا للناس ما أفضع الندا
أيحمل موسى والحديد برجله ... كما حمل السجّاد عانٍ مقيّدا

[أدب الطف: ج١٠]

بعض الحقوق

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمّا حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ فَإِنْ حَضَرَكَ لَهُ وَجْهُ رَأْيٍ جَهَدْتَ لَهُ فِي النّصِيحَةِ وَأَشَرْتَ عَلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنّكَ لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ وَذَلِكَ لِيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ فَإِنّ اللّيِنَ يُؤْنِسُ الْوَحْشَةَ وَإِنّ الْغِلَظَ يُوحِشُ مَوْضِعَ الْأُنْسِ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَأَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَأْلُهُ خَيْراً وَلَمْ تَدّخِرْهُ نُصْحاً وَلَا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ.

وَأَمّا حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ فَلَا تَتّهِمْهُ فِيمَا لَا يُوَافِقُكَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ إِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ فَإِنّمَا هِيَ الْآرَاءُ وَتَصَرُّفُ النّاسِ فِيهَا وَاخْتِلَافُهُمْ فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالْخِيَارِ إِذَا اتّهَمْتَ رَأْيَهُ فَأَمّا تُهَمَتُهُ فَلَا تَجُوزُ لَكَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مِمّنْ يَسْتَحِقُّ الْمُشَاوَرَةَ وَلَا تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إِشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ وَجْهِ مَشُورَتِهِ فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللّهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ بِالشُّكْرِ وَالْإِرْصَادِ بِالْمُكَافَأَةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزِعَ إِلَيْكَ وَلا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ.

وَأَمّا حَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ فَإِنّ حَقّهُ أَنْ تُؤَدّيَ إِلَيْهِ النّصِيحَةَ عَلَى الْحَقِّ الّذِي تَرَى لَهُ أَنّهُ يَحْمِلُ وَتَخْرُجَ الْمَخْرَجَ الّذِي يَلِينُ عَلَى مَسَامِعِهِ وَتُكَلّمَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ فَإِنّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الْكَلَامِ يَعْرِفُهُ وَيَجْتَنِبُهُ وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرّحْمَةَ وَلا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ.

[الصحيفة السجادية]